كلمة المسار

هذه المجلة



د. صلاح الدين بوجاه

تحتفل مجلتكم اليوم معكم بمؤتمر اتحاد الكتاب التونسيين، هذا المؤتمر السابع عشر على درب الإبداع والإضافة، بعد أن غدت مجلة منتظمة الصدور متألقة.

في أسرة المجلة آلينا على أنفسنا أن نواصل خدمة المشروع الذي استُهل منذ سنوات طويلة، من قبل شيخ الأدباء الأستاذ العروسي المطوي ثم الشاعر الكبير الميداني بن صالح، يحدونا الأمل في المساهمة في اسماع صوت تونس، وإتاحة مجال للمبدع التونسي حتى يواصل العمل مستندا إلى قيم الوسطية والاعتدال والبحث عن المزيد من الحرية.

لقد انفتحت «المسار» على المبدعين كلهم داخل تونس، كما مكنت العديد من الأقلام المهاجرة من إعمال القلم في شتى المجالات القصة والشعر والدراسة على أنواعها، وهي اليوم تواصل ـ من مؤتمر إلى مؤتمر ـ مسيرتها الظافرة خدمة للاعلام الحر في بلد التوازن والاستقرار، تونس.

وفي حسباننا أن مجلتكم هذه يحسنُ مستقبلا أن تمكن عدداً من المبدعين العرب من تطوير مجال مساهمتهم فوق صفحاتها لما في ذلك من خدمةٍ لتوجـهِ الانفتاح على المغرب والمشرق والسعيِ إلى جمع جناحي البلاد العربية تحت خيمة واحدة.

مشروعنا طموح، وندرك جيدا انه في حاجة إلى التحسين والتطوير. ولن يتيسر هذا إلا بفضل إضافاتكم، والتفافكم حول هذا المنبر الاعلامي الرائد، الذي لا تعنيه الألوان أو التوجهات أو الايديولوجيات بقدر ما يعنيه الأدب الحق.

على درب الأدب نحييكم، ونعدكم بمواصلة انتظام الصدور، وتطوير المادة، وتأكيد سياسة الانفتاح. وكل مؤتمر وأنتم بخير.

نقد أدبـي

الثقافة والمثقف وقضايا المجتمع

بقلم : ثابت الطاهر*

يسرني جدا أن نلتقي في تونس الخضراء، وأن نتحدث عن الثقافة والمثقف في هذا البلد العربي الأصيل الذي انجب للأمة العربية والإسلامية اعلاما في مجالات العلم والفكر والثقافة خدمت البشرية جمعاء، ومازالت أسماؤها محفورة في التاريخ، متجددة بأثرها الذي تتبعه الأجيال العربية، جيلا بعد جيل. ولتونس مكانة خاصة في قلوب العرب لقربها دوما من النبض والجرح والحلم العربي، فكانت عبر تاريخها سخيّة لم تبخل يوما عن مد يد المساعدة والمبادرة للتصدي لقضايا وهموم الأمّة العربية والإسلامية.

لقد وردت في أدبيات الفكر والثقافة تعريفات مختلفة للثقافة، أودّ أن أشير إلى بعضها : فقد وضع ادوارد تيلر في كتابه «الثقافة البدائية» الذي نشر عام 1974 أول تعريف شامل للثقافة إذ عرفها بانها «ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والقصائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في تجمع».

* مدير عام مؤسسة عبد الحميد شومان

ويعرف مالك بن نبي الثقافة بأنها مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي يعيش فيه.

ويشرح الأستاذ فهمي هويدي هذا التعريف قائلا : «أنها المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته والمحيط الذي يعكس حضارة معينة، وهذا يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة المجتمع - أي معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع».

ويعرف د. محمد عابد الجابري الثقافة بأنها بمثابة الوعاء الذي يحوي العناصر المكونة للمنظومة المرجعية لمن ينتمون اليها.

ويصف الجابري الثقافة بأنها «مجموعة من المعارف والاعتقادات والقيم والأخلاق والعادات التي يكتسبها المرء جراء انتمائه إلى جماعة من الجماعات».

أما د. أحمد صدقي الدجاني - فقد رأى أن الثقافة في أبسط تعريفاتها هي مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات.

ويقول الدكتور الطاهر لبيب : «في المانيا فقط... أخذت كلمة الثقافة مفهوما يدل على التقدم الفكري الذي يحققه الفرد أو

المجموعات البشرية ـ وهذا المفهوم يتسق مع التصور الفكر الإيجابي لتاريخ البشرية الذي يعتبر التقدم الفكري المعيار الأساسي للتميز بين عناصره».

ويطول الحديث عن تعريف الثقافة، من ذلك أن الدكتور عادل الطويسي وزير الثقافة الأردني السابق رصد خلال شبكة الانترنيت ما لا يقل عن ثلاثمائة تعريف للثقافة، أقصرها وأكثرها دلالة التعريف الذي يقول: إن الثقافة هي طريق العيش والتفكير Culture is ways of living على اعتبار أن هذا التعريف يجمع على بساطته جانب الثقافة الروحي ـ كاللغة والدين والعادات والتقاليد والدساتير والقوانين والأنظمة وغيرها، والجانب المادي الملموس ـ كالمسكن والملبس والمشرب وغيرها.

أما الأستاذ الدكتور صلاح جرار، فقد عرّف الثقافة في كتابه «الجدار الأخير ـ نظرات في الثقافة العربية»، بأنها كل معرفة مكتسبة أو قادرة على إحداث تغيير أو تطوّر في وعي الجماعة وسلوكها ووجدانها وذوقها». ولا أريد هنا أن استرسل في عرض المزيد من هذه التعاريف للثقافة ـ ولكنني أود أن أذكر أنني في محاضرة لي في منتدى عبد الحميد شومان الثقافي كنت قد عرّفت الثقافة بأنها «علم وفكر ومعرفة وارتباط بقضايا المجتمع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية». وكان منطلقي في هذا التعريف من أنه بالاضافة للخلفية التي يجب أن تتوفر لدى المثقف من علم وفكر ومعرفة، فلا بد لهذا المثقف ـ هذا الإنسان ـ أن يتفاعل مع القضايا المختلفة للمجتمع الذي يعيش فيه، إذ ليس المفروض أن يعيش المثقف في برج عاجي بعيدا عن الناس.

بعد هذه التعريفات أقول أنه لا يمكن أن نتحدث عن التنمية في أي مجال قبل التحدث عن التنمية الثقافية ـ باعتبارها القاعدة الأساسية فلا يمكن لأية تنمية أن تتم دون تنمية ثقافية. وما أعنيه هو أهمية الارتقاء بالوعي العام، وتمتين الوجدان الحي، والمحافظة على الهوية الوطنية، وتنمية الانتماء بكافة أشكاله وصوره، وتحقيق طموحنا ومستقبلنا الذي ننشده.

وأقول أنه في ضوء المعطيات الراهنة، وحسب ما تتجه نحوه خارطة السياسة الدولية، فإنه لا مستقبل إلا وفق ما تمليه حضارتنا وتراثنا ووعينا الجماعي، مع الانفتاح على العالم بحيث نأخذ منه ما يفيدنا ونترك ما يسيء لنا! ومن يراهن على غير ذلك فانما هو يتجاهل حقائق، حتى لا أقول نوايا مغرضة تهدف، إلى ابقائنا متخلفين، إذ لا يمكن لنا أن نتقدم خطوة إلا بعد أن يكون الآخر قد تقدم خطوات.

هذا هو التحدي الذي يفرض نفسه علينا اليوم، ومن هنا تكتسب الثقافة العربية أهميتها باعتبارها آخر الحصون في وجه

الهيمنة الغربية، ومن هذا يكتسب المثقف العربي أهميته الاستثنائية، باعتباره آخر الفرسان في الميدان، فإذا كان الاقتصادي قد أخفق أو قيدته التكنولوجيا الحديثة بمعطياتها، وإذا كان السياسي قد تلوّن حسب التلاوين الدارجة، فإن المثقف هو الذي بقي قابضا على جمر الهوية، والخصوصية العربية، في زمن عزّت فيه الخصوصيات، وانتهكت الحرمات، وأفسدت به الثقافات.

وعلى الرغم من صعوبة التحدي، وأهمية الدور الملقى على عاتق الثقافة والمثقف العربي، إلا أن حالنا على الصعيد الثقافي لا يسر، وبعيدا عن جلد الذات، وإذا أردنا تشخيص واقع الحال برؤوس أقلام، فإننا نجد أنفسنا في غيبوبة على الصعيد الثقافي والحضاري، وليت الغيبوبة أسهمت في مراوحتنا مكاننا فقط، بل إنها في كل يوم تتقهقر بنا إلى الوراء، فبعد أن تفوق علينا الغرب وقلنا أن الغرب عقدتنا، تأتينا إحصائيات تفيد بأنّ مجموع ما أنفقته الدول العربية مجتمعة على البحث العلمي عام 2003، وفي ضوء دراسة أعدها الأستاذ الدكتور عدنان بدران ونشرت في مجلة اليونسكو عام 2005، بلغ 1،7 بليون دولار مقابل ما أنفقته إسرائيل حوالي 6 بليون و98 بليون في اليابان، و50 بليون دولار في الصين، و20 بليون دولار في الهند وأنفقت دول جنوب شرق آسيا مبلغ 48،2 بليون دولار ـ وتعادل 2،7٪ من الناتج القومي الإجمالي، ويبلغ معدل ما أنفقته الدول العربية على البحث العلمي حوالي 0،3٪ من دخلها القومي الإجمالي (في الأردن كانت النسبة بين 0،3 و0،4٪ ونسعى للوصول إلى 1٪).

إنّنـــا نتحدث عن دول آسيوية، كان حالها مثل حالنا قبل عقود، وها هي تتفوق علميا وتكنولوجيا من خلال اعتمادها على نفسها.

ففي بحث أعده الأستاذ الدكتور أنور البطيخي نقرأ حقائق وأرقاما عالمية ومحلية تتعلق بالبحث العلمي والتنمية، نخرج منها بعدة مؤشرات نورد منها ما يلي:

أ ـ ينفق العالم العربي على البحوث والتطوير (0،2٪) من إجمالي الدخل القومي ناتجه المحلي، أي ما يعادل سبع المتوسط العالمي.

ب ـ نسبة البلدان العربية من النشر لا تتعدى (0،7٪) في المائة أي أقل من سدس نسبة العرب إلى إجمالي عدد السكان عالميا.

ج ـ إنتاج العرب من الكتب لم يتجاوز (1،1) في المائة من الانتاج العالمي على الرغم من أن العرب يشكلون نحو (5،4) في المائة من سكان العالم.

د ـ معدل الإنفاق على البحوث والتطوير لكل نسمة (4) دولارات مقابل (953) دولارا في الولايات المتحدة و(50) دولارا

في الصين،

هـ - عدد براءات الاختراع العربية المسجلة في الولايات المتحدة خلال العقد (1990 - 2000) لا يتجاوز (300) في مقابل (6328) في كوريا الجنوبية و (7652) في إسرائيل.

و - عدد الأبحاث المنشورة لكل نسمة يتكرر وجودها في مراجع الأبحاث الأخرى التي تحيل اليها Index Citation وهو مؤشر للدلالة على نوعية الأبحاث (0،2) لمصر، (0،07) للسعودية، و(0،53) للكويت، و(0،01) للجزائر، في مقابل (43) للولايات المتحدة، و(80) لسويسرا، و(38) لاسرائيل، و(0،03) للصين.

ويورد الدكتور البطيخي بعض الحقائق والأرقام الأخرى فيما يتعلق بالفجوة الشاسعة للبحث العلمي والتنمية بين العرب وإسرائيل، نقرأ منها ما يلي:

أ - يبلغ عدد الكتب المترجمة إلى العبرية (100) كتاب لكل مليون إسرائيلي، في حين يبلغ عددها بالنسبة للعالم العربي (3) كتب تقريبا لكل مليون عربي.

ب - فيما يخص النشر العلمي يبلغ 11،7 بحثا منشورا لكل عشرة آلاف في إسرائيل، بينما يبلغ هذا المعدل ثلث بحث لكل عشرة آلاف في العالم العربي.

ج - عدد مالكي الكمبيوتر في إسرائيل (47) لكل مائة فرد، في حين يبلغ هذا العدد (4) لكل مائة شخص في العالم العربي خلال العام 2000، وربما تحسنت المؤشرات العربية قليلا بعد عام 2000، إلا أنّ الفارق يظل شاسعا.

هـ - تحتل إسرائيل المركز 12 من حيث الجاهزية الشبكية، في حين تحتل أعلى الدول العربية وهي تونس المركز 34، تتلوها المغرب في المركز رقم 52، فالأردن في المركز 57، فمصر في المركز 65، وذلك خلال الفترة الزمنية 2002 - 2003.

كما ازداد الأمر سوءا ببلوغ نسبة الأمية في البلدان العربية نحو 25٪ من السكان، أي ما يعادل 70 مليون أمّي. ذلك أن الدول العربية لم تنفق على قطاع التعليم في مختلف مراحله أكثر من 7٪ من الموازنة العامة في أحسن الحالات، وتدني هذه النسبة أقل من 5٪ من البلدان العربية الفقيرة، كما أن 6،7 مليون طفل عربي غير مسجلين في المدارس بسبب عدم توافر الأماكن، وبسبب الظروف الصعبة لعائلاتهم، وحاجتها لعملهم.

ونقرأ في تقرير منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة والتربية (اليونسكو) أن عدد الكتب المنشورة لا يتجاوز 30 كتابا لكل مليون عربي، وبلغ عدد الكتب المنشورة في الولايات المتحدة 212 كتابا لكل مليون أمريكي، بينما كانت الكتب المنشورة لكل مليون أوروبي 584 كتابا. كما بلغت نسبة

توزيع الصحف في الدول العربية 52،1 ٪، في حين تتجاوز نسبة توزيع الصحف في أوروبا 24٪.

هذا هو واقع الحال برؤوس أقلام سريعة، وهذه مؤشرات تدل على المستوى الذي وصلنا اليه، والذي يدعو إلى أهمية العمل على انقاذ ما يمكن انقاذه، وهنا وجبت العودة إلى التعريف الذي وصلت اليه الثقافة باعتبارها علما وفكرا ومعرفة، وأعرض تجربتنا في مؤسسة عبد الحميد شومان في محاولة ترجمة هذا التعريف وجعله هدفا عمليا وليس تعريفا نظريا. إذ نحاول في المؤسسة أن نربط بين جوانب التعريف الذي أشرت اليه لتوفير الخلفية الأساسية التي يجب أن تتوفر لدى المثقف من خلال تحقيق أهداف المؤسسة الأساسية التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- دعم وتنشيط البحث العلمي والإبداع الإنساني العربي.
- توفير المعرفة ونشرها بكل الوسائل الممكنة.
- بناء جسور الحوار والتواصل الفكري، وتهيئة المناخ المناسب لتفاعل المفكرين والمبدعين والعلماء مع القاعدة العريضة من الجمهور الكريم.

وبالعودة إلى التعريف الذي قدمته لمفهوم الثقافة، وبدءا «بالعلم» الذي هو أحد العناصر الأساسية للثقافة، وانطلاقا من اهتمام المؤسسة بالعلم والعلماء انسجاما مع هدفها في هذا المجال فإنها تسعى لتحقيق ذلك من خلال دعم العلم والعلماء بمنح جوائز للمبدعين منهم، فهناك جائزة عبد الحميد شومان للباحثين العرب الشبان، وجائزة عبد الحميد شومان لمعلمي العلوم في الأردن، وجائزة الترجمة وجائزة أدب الأطفال، إضافة إلى ما يقدمه صندوق عبد الحميد شومان من دعم للمشاريع البحثية والإبداعية المقدمة من الجامعات الأردنية.

أما بالنسبة لنشر المعرفة فتسعى المؤسسة لتحقيق ذلك من خلال ما توفره مكتبة عبد الحميد شومان من مراجع وكتب في مختلف موضوعات العلم والفكر - بالاضافة للمكتبات التي أسستها في معظم محافظات المملكة بالتعاون مع بلدياتها. ومشاركتها مع وزارة الثقافة ومركزها الثقافي في المكتبة المتنقلة بالاضافة لما تقدمه من اهداءات الكتب والمراجع لمؤسسات علمية وفكرية مختلفة.

وأما بالنسبة لتنمية الفكر والتفاعل بين المفكرين والجمهور فتسعى المؤسسة لتحقيق ذلك من خلال المحاضرات والندوات التي ينظمها منتدى عبد الحميد شومان الثقافي في مختلف الموضوعات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وأرى أن هذا التفاعل في مثل هذه المحاضرات والندوات هو الذي يحقق

فهما أكبر لقضايانا الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

فلقد أخذ منتدى عبد الحميد شومان على عاتقه تنظيم النشاطات العلمية والثقافية التي تمس اهتمامات الجمهور العربي، وتتفاعل مع قضاياه الفكرية والحياتية فحفلت برامج المنتدى بندوات ومحاضرات تطرقت لقضايا التعليم والمرأة، والطب والصحة العامة، والزراعة والطاقة والمياه والشباب، وغير ذلك من القضايا التي تشغل بال المسؤولين وعامة الناس على حد سواء.

ولقد حظيت المؤسسة باستضافة عدد من الباحثين والمفكرين التونسيين أذكر منهم : عبد الرؤوف الباسطي، الطاهر لبيب، الهادي البكوش، الشاذلي العياري، الحبيب الجنحاني، هشام جعيط.

ربط دور المثقف بقضايا المجتمع؟

بداية أودّ أن أشير إلى أنّ للمجتمعات العربية سمات خاصة، فهي مجتمعات الأسرة الواحدة الكبيرة التي تضم السكان بمختلف فئاتهم وأطيافهم في وحدة وطنية يحرص كل مواطن على الحفاظ عليها.

وعلى الرغم من الانجازات التي تحققت في هذا القطر العربي أو ذاك وعلى الرغم من قصص النجاح التي تحققت في عدد من القطاعات العربية، فلا يزال المواطن يتطلع إلى تحقيق المزيد من هذه الانجازات والنجاحات، ولا يزال يتجاوب مع الدعوة التي تنادي وتطالب بالإصلاح والتطوير.

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن الإصلاح.. والتغيير.. والتطوير باعتبارها قضايا أساسية لابد من أن نوليها اهتماما كبيرا في هذا الوقت الذي نواجه فيه الكثير من التحديات ـ في مختلف المجالات ـ وهي تحديات تستدعي مواجهتها وضع خطط جادة مدروسة للنقلة الحضارية التي نحتاجها دون التفريط في القيم الروحية والقومية والإنسانية التي تصوغ ثقافتنا.

وفي اعتقادنا فإنّ عملية الإصلاح والتطوير تتطلب أولا توفر الإرادة لتحقيق هذا الإصلاح والتطوير، ولابد أن يكون هذا التطور أو التغير نابعا من ذاتنا، ولابد أن يكون للمواطن ـ للإنسان ـ دور أساسي في عملية التغير أو التطوير هذه. وحتى يرتقي الإنسان إلى هذا الدور وحتى يكون عنصرا فاعلا في المجتمع، فلا بد من أن توفر له ـ بالاضافة لمتطلبات الحياة الأساسية ـ العيش في جو آمن يتمتع فيه بحقوقه الدستورية وما تضمن له هذه الحقوق من حرية وعدالة ومساواة وتكافؤ الفرص. ويقتضي التنويه هنا إلى ضرورة الاهتمام بالشباب والنساء على وجه الخصوص في المجتمعات العربية، فدون ذلك سيبقى النصف الآخر للمجتمع وقواه الحقيقية مهدورة.

أما عملية الإصلاح نفسها فأرى أننا إذا أردنا أن نجاري العالم من حولنا، ونرتقي إلى ما

تحقق في مجالات العلوم والتكنولوجيا ومختلف المجالات الأخرى، فلابد أن نحدث تطويرا أو تحديثا في نواح مختلفة في حياتنا يشمل المجالات السياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية.

أما النقطة الأساسية الثانية في عملية الإصلاح والتطوير فهي موضوع التعليم باعتبار التعليم القاعدة الأساسية التي تبنى عليها حضارة الأمم وكلما كانت هذه القاعدة صلبة ومتينة، كلما كان البناء المقام عليها متينا وقويا.

وقد كثر الحديث مؤخرا عن تدني مستوى التعليم في الوطن العربي بشكل عام وضرورة العمل على تطويره واصلاحه، والتركيز بشكل خاص على جودة ونوعية التعليم، وهو موضوع جدير بكل اهتمام. وقد أولى منتدى عبد الحميد شومان الثقافي عناية خاصة بهذا الموضوع من خلال الندوات العديدة والمحاضرات التي قدمت وشارك فيها عدد من وزراء التربية والتعليم العالي والبحث العلمي ورؤساء وأساتذة الجامعات وعدد من الخبراء في قضايا التعليم. ويرتبط بموضوع التعليم فإنّ موضوع البحث العلمي.

وفي اعتقادنا فإنّ دعم البحث العلمي يتطلب - بالإضافة إلى توفير وزيادة المخصصات المالية اللازمة لذلك - توفير البيئة المناسبة للبحث العلمي ومنح الباحثين حوافز ومكافآت مناسبة، واجازات تفرّغ تمكنهم من القيام بالبحث العلمي لاسيما وأن الضغط الملقى على عاتق أساتذة الجامعات - بشكل عام - بسبب عدد ساعات التدريس التي يقدمونها لا تترك لهم الوقت الكافي للتفرغ للبحث العلمي.

التحديات الفكرية والثقافية

بداية لابد من تحديد طبيعة هذه التحديات والنظر إلى واقع المثقف العربي ففي مقدمة هذه التحديات تحدي العولمة وتأثيره على الهوية الثقافية، وما قد يتفرع عن ذلك من تحديات قد تصل إلى حد المساس بأصالة لغتنا الأم : اللغة العربية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العولمة سلاح ذو حدين، فمن جهة يجب أن لا يكون الانفتاح على ثقافات العالم على حساب ثقافتنا وتراثنا، ومن جهة ثانية يجب أن لا يؤدي الانغلاق على ثقافات العالم إلى انغلاقنا على أنفسنا، وبالتالي لا الانفتاح على العالم بلا ضوابط مطلوب، ولا الانغلاق على الذات مطلوب أيضا، انما المطلوب هو التوازن المبني على الثقة بالنفس بحيث يكون تواصلنا مع أية ثقافة عالمية أخرى قائما على الأخذ والعطاء، أي أن تكون العلاقة متكافئة نأخذ ما يفيدنا ونترك ما يمكن أن يسيء لهويتنا وتراثنا. وهذا ما أكد عليه د. ناصر الدين الأسد في محاضرته بمنتدى عبد الحميد شومان حول «مستقبل اللغة العربية» حين

أكد على أن التمسك باللغة العربية لا يعني تهميش اللغات الأجنبية، غير أن هناك ـ والكلام للدكتور الأسد ـ «تحديات ومخاطر حاضرة ومستقبلية، أهمها العولمة ـ وخاصة ما تعنيه من سيادة الثقافة الموحدة ـ وتدمير الخصوصيات الثقافية الأخرى» وقد اعتبر الدكتور صلاح جرار أن «اللغة» هي المكون الأساسي للهوية الثقافية والحضارية للأمة ـ إذ لا ثقافة قومية بدون لغة قومية، واللغة العربية هي عنصر أساس من عناصر الهوية والثقافة للأمة».

لابد إذا، من مواجهة تحدي الثقافة وما يفضي اليه هذا التحدي من تداعيات بالثقة من عمق حضارتنا وأصالة تاريخنا، والتمسك بالمفاهيم والمبادىء الراسخة. وهنا، نعود إلى واقع ومسؤولية المثقف العربي الذي يجب أن يحظى بهامش واسع من حرية الرأي والتعبير ليتاح له القيام بالمسؤوليات الواقعة على عاتقه.

ومن التحديات المتعلقة بالشأن الثقافي أيضا ما يتصل بازمة القراءة في الوطن العربي، والتي تتطلب دورا فاعلا من مؤسساتنا ومن البيت كي نعمل على تشجيع أبنائنا على القراءة والمطالعة، بحيث يمكنهم الاستفادة من أوقاتهم بشكل أكثر غنى ويعود عليهم بالفائدة. ولا نغفل في هذا المقام الدور الفاعل الذي يمكن أن يقوم به المثقف العربي في هذا المجال، وذلك من خلال احتكاكه المباشر مع الجمهور وتوعية المواطنين إلى أهمية المطالعة والقراءة ومدى انعكاس ذلك على صقل الشخصية وتنمية الوعي. ويهمني أن أشير في هذا السياق الى الاتفاقية التي تم التوقيع عليها مؤخرا بين مؤسسة عبد الحميد شومان ووزارة الثقافة الأردنية في مشروع مكتبة الأسرة الأردنية وهو مشروع سينطلق في عمان ومن ثم إلى باقي محافظات المملكة ويحمل عنوان «القراءة للجميع» وسيتم فيه عرض كتب قيمة ومتنوعة بحيث تكون متاحة وفي متناول الجميع، بثمن زهيد ـ وبموجب هذه الاتفاقية، التزمت المؤسسة بالإسهام في تمويل هذا المشروع.

نحن في المحصلة، إذا، أمام تحديات ثقافية تتجلى بانصع صورها في ما يسمى العولمة. أما التحديات السياسية، فتتلخص فيما يجري في العالم من حروب وصراعات قد تؤثر على استقرارنا الذاتي، والأمن الذي نتمتع به في بلدنا.

أما التحديات الاقتصادية فتتمثل في سيطرة رأس المال واقتصاد القوى والتجمعات الكبرى، اضافة إلى التحديات الاجتماعية في مجتمعنا التي تتمثل بشكل بارز بمعضلتي الفقر والبطالة، ولا شك في أنه لايمكن مواجهة كل هذه التحديات بدون تنمية ثقافية، وهذا يؤكد ما سبق أن قلته بأن لا تنمية سياسية ولا تنمية اقتصادية

واجتماعية بدون تنمية ثقافية تفسح المجال للمثقف ليقوم بدوره في توعية المواطنين بهذه التحديات وتبادل الرأي من خلال الحوار حول أنسب الطرق لمواجهتها والسعي لإسماع صوتهم للمسؤول.

وتجدر الاشارة في هذا السياق إلى خطة التنمية الثقافية في الأردن للأعوام 2006 - 2008، والتي أعددتها وزارة الثقافة ووافق عليها مجلس الوزراء في شباط عام 2006، فهذه الخطة تلفت الانتباه إلى أهمية الثقافة باعتبارها مصدرا جديدا ومتجددا للتنمية وترتكز خطة التنمية على التوجيهات الملكية السامية من حيث تعزيز دور التنمية الثقافية القادرة على التعبير عن حقيقة مجتمعنا المحلي ومشاركته الفاعلة، وترسيخ ثقافة تنطلق من الانتماء الواعي للوطن وتسعى إلى إعلاء قيم الحق والعدل، وتنفتح على حضارات العالم دون إغراق يجتث الجذور أو انغلاق يؤدي إلى الجمود.

وعليه، أرى أنه إذا أراد المواطن أن يكون صوته مسموعا في القضايا التي تمس شؤون حياته فلابد له من أن يشارك في العملية الانتخابية في المجالس البلدية والنيابية بحيث يحرص على انتخاب من يثق في مقدرته وكفاءته وأمانته لتمثيله في هذه المجالس، وهذا يحتاج إلى توعية لابد أن يكون للمثقف دور فيها.

وفي المجمل فإن مثل هذه التحديات تستدعي دورا فاعلا على أكثر من جهة : فعلى الصعيد السياسي لابد من مواجهة التحديات السياسية بالوعي واليقظة وصدق الانتماء للوطن والحرص على الوحدة الوطنية وترسيخ مفهوم الحرية والعدالة والمساواة.

وعلى الصعيد الثقافي وما يتصل بالعولمة لابد من الانفتاح على الثقافات العالمية دون التفريط أو إهمال للغتنا وثقافتنا وتراثنا.

أما على صعيد التحديات الاقتصادية فإن سيطرة اقتصاد القوى والشركات الكبرى لا يمكن مواجهتها بتكتلات اقتصادية صغيرة، إذ لابد من قيام أو تكوين تكتلات كبيرة وتنسيق الجهود لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي - مع مواصلة التأكيد على أهمية تحقيق وحدة اقتصادية عربية مهما طال الزمن.

أما التحديات الاجتماعية فيمكن مواجهتها من خلال اتاحة فرص عمل عبر الاستثمارات المختلفة وضمان عدالة توزيع فرص العمل ومزيد من التكافل الاجتماعي، واعتماد سياسة التدريب لتأهيل القوى البشرية لدينا وتطوير كفاءاتها وخبراتها لتنسجم مع متطلبات قطاعات العمل المختلفة.

أما تحديات التعليم والبحث العلمي، فلا نضيف جديدا إذا أكدنا على ضرورة الارتقاء بمستوى التربية والتعليم وإعطاء اهتمام

خاص للتعليم المهني ودعم البحث العلمي ومواكبة ثورة الاتصالات العلمية ـ والتفاعل مع هذه الثورة وفهمها.

وهكذا يلاحظ من خلال ما تقدم، أنني حرصت على الالتزام بالتعريف الذي اخترته للثقافة بأنها علم وفكر ومعرفة وارتباط بقضايا المجتمع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وبدا من حديثي أن الإنسان كان ولا يزال الهدف الأسمى للتنمية، ويجب أن ينصب همنا على الإسهام في تنمية وعي الإنسان العربي، عن طريق الارتقاء بمجساته الروحية والذهنية، من خلال الإطلال على مختلف أشكال التحولات العالمية، سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية، أو ثقافية، وعلاقة كل ذلك بمجتمعه وبمحيطه القومي والإسلامي، وإبعاده، إن لم نقل انقاذه من المؤثرات التي قد تشوش ذهنه ووعيه، ولنبدأ من أبسط تلك المؤثرات، ألا وهو توعية شبابنا وتحصينه في مواجهة ما تبثه الفضائيات وبعض مواقع الانترنيت من برامج هزيلة تؤثر على عقولهم، وطموحهم وتكوينهم النفسي.



« وجــــوه مــــرّت »
لـ عبد الرحمن مجيد الربيعي : تداخل الموت والحياة فينا ؟

بقلم : مصطفى الكيلاني*

«كان عبد الكريم الفيّاض يقدم على أعمال ليس بمقدور أحد أن يتوقعها أبدا، كان التحدّي بكل معانيه، وكأنّه أراد أن ينهي حياته بالطريقة المتحديّة نفسها، ليقول لنا:

ـ أرأيتم؟ لقد فعلتها وبرهنت بشكل أو آخر أنّ الموت والحياة يتداخلان فينا. ومن أراد التأكّد فليفعل مثلي»(1).

ـ 1 ـ

حينما نقــرأ «وجوه مرّت» لـ عبد الرحمن مجيد الربيعي نكتشف لونا إبداعيا آخر في مسار الكتابة لديه، هو الأقرب إلى السيرة الذاتية منه إلى القصّة القصيرة رغم الملامح الأسلوبية العديدة الدالّة عليها(2)، وإلى نوع شائع في آداب الغربيين، وله حضوره البارز في تراثنا السّردي العربي، إن عدنا إلى «البخلاء» والرسائل للجاحظ، على سبيل المثال لا الحصر، ذاك الذي سمّي حديثا فنّ «البورتريه» (رسم الشخصية)، تحديدا. وليس انتهاج هذا الأسلوب في الكتابة بالمتيسّر لدى عامة من يشتغلون على إنشاء السرد قصصا أو رواية، إذ يستدعي تقنيات عالية في الوصف والنفاذ إلى تفاصيل الشخصية مرورا من ملامحها الظاهرة إلى المخبّإ الدفين. كما يستدعي التقاط أطرف اللحظات والحالات والمواقف بأسلوب سلس لا تقعّر فيه ولا تفاصح ولا توريه. لذلك يتناسب الحرف والمعنى ويتساويان في بناء متناظم مرسل تبعا لخطّة عين رائية لا تكتفي بالمشاهدة والمعايشة، بل تومىء إلى ما هو أبعد من المرئي المحسوس المعيش دون التورّط في السرد العالم أو المتعالم.

فتتحدّد القيمة الأدبية بدءا لـ «وجوه مرّت» بفعل القراءة ذاته الماثل في النصّ وخارجه، بكلّ من الذات الكاتبة والمتلقيّة، وبالمشترك بينهما أيضا بينما تتأكّد الحاجة ضمنا عند التواصل إلى مزيد البوح والاستزادة في الاتّجاه الآخر (الاستقبال).

ـ 2 ـ

فيطالعنا «بورتريه» حسين مردان الشاعر العراقيّ الشهير «بدكتاتوريته الفريدة» التي صيغت بأسلوب ضاحك هزليّ زاخر

* استاذ بالجامعة التونسية (كلية الاداب بسوسة)

بالمواقف الطريفة، بدءا باللقب (مردان)(3).

كذا يعرض «رسم الشخصية» زاخرا بومضات من حياة هذا الشاعر : القرويّ القادم إلى بغداد، ولذّة التسكّع، وتمرّد القصائد، والشهرة، والتأثير في بلند الحيدري وعديد الشعراء والأدباء ببغداد، وملاقاة سارتر عرضا في موسكو، ونهم الكأس والدخان، والأمّ الملاذ التي لاحقته إلى بغداد، والأكاذيب والخصومات المستطرفة، وعشق امرأة تعمل في إحدى المؤسسات الثقافية، وكتابة القصائد في بار «السولاف» الشعبي بمدخل شارع أبي نواس ببغداد، ورغبة تعلّم الأنكليزية في شهرين، والموت بالسكتة القلبية، ونشر مقالاته في كتاب، وهي التي كان يواظب على كتابتها في مجلّة « ألف باء » الأسبوعية(4).

فتنكشف تفاصيل عديدة من شخصية حسين مردان الإنسان قبل الشاعر أو الإنسان الشاعر تبعا لشهادة عبد الرحمن مجيد الربيعي القائمة على المعايشة والسماع.

ـ 3 ـ

أما «البورتريه» الثاني فهو خاص بخيون راشد، الشخصية الاجتماعية المعروفة لدى عامة الناس بـ «أبي راشد، المدير الأعزب الذي قارب الستين. فحرص الكاتب على استخدام تقنيات الوصف الجسماني والاجتماعي، على وجه الخصوص، بأسلوب هزلي يسعى إلى التقاط المواقف الطريفة. ذلك أن شرط البورتريه الضمني، هنا، يتحدّد بتفرّد الشخصية عند مقارنتها بغيرها من الشخصيات العادية التي تكاد أن تكون متماثلة في منظومة الحياة المجتمعية.

فضعف البصر، على سبيل المثال، يقتضي من أبي راشد اللواذ بالحلاّق عبد الحسن(5)، وشذوذه الجنسيّ الذي يمارسه سرّاً حاضر في مجموع الصفات الدالّة عليه، إضافة إلى نشره لعديد النصوص الأدبية لما كان طالبا بكلية الحقوق.

وله «طقوس» يومية تبدأ بحلاقة الذقن وتناول الفطور والشغل، ثمّ شراء الصحف والعرق تداينا إلى آخر الشهر، ونوم القيلولة، ثمّ السهر.. وقد نتج عن ضعف البصر التقاعد الوجوبي، فالانتقال المفاجيء من الناصرية إلى بغداد.. ولعلّ من أطرف المواقف عند قراءة «بورتريه» خيون راشد تقديمه العرق لبعير كي يصبح مضرب مثل على شاكلة قسم ساخر لدى الجميع : «وحقّ أبو راشد صديق الغلمان ومسكّر البعران»(6).

ـ 4 ـ

وحينما نقرأ «البورتريه» الثالث الخاصّ بـ «كوزان» تتمثّل شخصية أخرى، كان لها صدى عميق في ذات الكاتب، وهي من وجوه «الشطرة» القريبة من الناصرية.

فكوزان يشتغل حرفة الإعلان للأشرطة السنمائية التي كانت تعرض في أول قاعة بالشطرة، كأن يتجول في الأسواق رافعا مع أحد الشبّان الحمّالين لوحة من الخشب بها صورة الفلم، ويلهج في الأثناء بأقوال مسجّعة تدخل على نفوس السامعين الغبطة والانشراح، مع ذكر مشاهد هزلية أخرى تجسّد فرادة الشخصية المرسومة ومدى اقتدارها على إبداع المواقف المسرحية عند الضرورة الحينيّة لأداء الوظيفة الإعلانية. ذلك ما لفت انتباه أستاذ المسرح المعروف جاسم العبودي في إحدى زياراته «للشطرة» مرفوقا بزوجته الأمريكية حينما أبصر «هرج» كوزان و «مرجه»ليعرض عليه الانضمام إلى «فرقة المسرح الحديث» ببغداد والاشتغال ممثّلا قارا بها. إلا أن كوزان، حسب رواية أحدهم، رفض العرض متشبثًا بالحرية والحياة البسيطة في «الشطرة» وأداء أدواره المرتجلة لجمهور شعبيّ اعتاد عليه.

ـ 5 ـ

وأمّا «البروتريه» الرابع فقد خصّ به عبد الرحمن مجيد الربيعي وجها آخر متفردًا من الحياة بالناصرية، المسمّى مدلول يدّه بن عيّال المرابي الصابئيّ الذي يحمل «نقطة في عينه اليسرى» أضعفت بصرها، مع ذكر تفاصيل إخفاقه المدرسيّ وعشقه لشيماء ابنة المحافظ حدّ الجنون والإقامة في مستشفى للأمراض العقلية إلى 1991، بدء حرب الخليج الثانية (7).

فوصل هذا الوصف التفصيلي للشخصية بين أطراف متفارقة من الحياة والنفس البشرية، بين العشق والعذاب، بين الرغبة والحرب. لذلك تجاوزت شخصية «مدلول يدّه» السياق الزمكاني (الزماني والمكاني) الخاص بها إلى مقام العاشق في المجتمع العراقي الذي قد يعني الحبّ لديه انتحارا من نوع خاص، لا يقدر عليه عادة إلاّ الأبطال في الملاحم وبعض الحكايات والقصص والروايات، في حين يتجسّد بالفعل على أرض الواقع العراقي بشهادة الذات الكاتبة.

ـ 6 ـ

وعند «البروتريه» الخامس المخصّص لحامد جمعة نكتشف وجها آخر لمن يجالس المحامي والكاتب العراقيّ المعروف محمود الغبطة في مقهى «عارف آغا»، لينضمّ إثر ذلك إلى «القهوة البرازيلية» حيث كان يجلس أشهر الشعراء العراقيين، كحسين مردان وبلند الحيدري وبدر شاكر السياب وعبد الملك نوري وعبد الوهاب البيّاتي.. ولحامد جمعة بدانة طريفة وموقف معاد للشعر الحديث، إذ يعتبره من قبيل «اللغو الفارغ»(8)، وله فندق صغير «يقع فوق مقهى الزهاوي مباشرة»(9).

وقد استفاد من هذه الملكية الشعراء من سكارى آخر الليل الذين يبيتون في هذا

الفندق مقابل قصائد عمودية يتنازلون عن حقوقها كتابياً كي يجمعها حامد جمعة في ديوان خاص وينسبها إليه(10).

كذا يترسّخ لدى عدد كبير من الناس الاعتقاد بشاعرية حامد جمعة، حسب البورتريه المخصّص له، بل يصبح إثر ذلك مشرفا على الصفحة الثقافية لإحدى الجرائد، من غير أن تكون له علاقة بالمكتبات والكتب والكتابة.

ـ 7 ـ

وفي البورتريه السادس يطالعنا خالد الحدّاد، شاعر المدينة وكاتب مراثيها بهيئته الرثّة وبطالته الدائمة وتعلّقه الحميم بالناصريّة التي لم يغادرها إلا مرّة واحدة، ولمدة ثلاثة أشهر إلى البصرة، كي يشتغل في الموانىء بها، ثمّ يعود إلى الناصرية من جديد رافضا الإلتزام بأوقات العمل والتضحية بحياة البطالة والتفرّغ الكامل للشعر. وقد انتصر هذا الشاعر للقصيدة على الاسم بنكران الذات. مثلما اتّسعت ثقافته وتعمقت بقراءة التاريخ العراقي، والسومريّ منه على وجه الخصوص ليبدع نصوصا مسرحية استوحاها من هذا التاريخ العريق(11). كما تأثّر بالمتصوفة لإبداع مسرحية عنوانها «الحلاّج»، تلاها نشر ديوان كامل : «أغاني الحلاّج». ولعلّ من الأحداث اللافّتة للنظر في حياة خالد الحدّاد

قبوله في الأخير الالتحاق ببغداد للاشتغ مصحّحا (مدققا لغويا) بجريدة، ثمّ خبي لغوياً في الإذاعة، بعد أن «وجدوه ذات م متيبساً في سريره البارد، وفي الغرفة المنس التي اكتراها في حيّ البتّاوين»(12).

ـ 8 ـ

ويستمرّ عبد الرحمن مجيد الربيعي في رس الشخصيات بانتقاء الوجوه التي تركت اثار عميقة مدويّة في النفس، كـ «جابر الخطّا في مقهى الأدباء»، المعلّم بإحدى المدارس الريفية القريبة من الناصرية حيث يذهب إليها كلّ صباح ويعود في المساء بواسط السيّارات التي تنقل الحبوب والخضا والركّاب بين القرية والمدينة»(13).

ومن صفات التفرّد لدى هذه الشخصية أ يكتب القصّة بجمع الأخبار التي يسمعه وينقلها، كما هي، إضافة إلى مواقف هزلي عديدة، كتحويل الفائض من راتبه إل «الحاج رزوقي صاحب الدكّان القريب م بيته(14)، لعدم ثقته بالبنك، وامتلاكه مقهى بعد تخليه عن مهنة التعليم».

ـ 9 ـ

وعند قراءة «عبد الكريم الفيّاض، فارس الليل ومعوّق النهار» نكتشف متسكعا ليلي لا يغادر البارات إلاّ عند انغلاقها أ إغلاقها، ضمن «فرسان الليل»، كأن يجتمع والرفاق في بار سرجون منذ الساع الثامنة(15) للاحتفال بقصّة أو قصيدة أو

كتاب جديد، وهو «خرّيج معهد الفنون الجميلة، فرع المسرح»(16)، وله هوايات عديدة، كـ «تربية الحمام والعصافير وجمع المسابح النادرة، كما أنه يمتلك مجموعة من الجوارب الشتويّة والصيفية التي يأتيه بعضها هديّة»(17).

وتتقلّب الأحوال بمرور الزمن، إذ ينصرم شمل «جماعة الليل» بموت خالد الراوي وغازي العبّادي وانصراف لطفي الخيّاط إلى وظيفة نقيب الصحافيين وعزلة عبد الكريم الفيّاض «فارس الليل» بعد موت زوجته ورحيل الرفاق عنه، الواحد تلو الآخر، ثمّ إقدامه على الانتحار.

ـ 10 ـ

وينضمّ إلى الوجوه السالفة الذكر كلّ من «عفّون» و «محسن ريسان». فالأول هو «شرطيّ الأمن الأكثر شراسة في المدينة»(18) الذي تزوّج عديد النساء. وقد وجدته زوجته الكبرى ذبيحا في باحة البيت، ليظلّ الحدث لغزا محيّرا لدى سكّان المدينة رغم الحكايات التي حاكها المخيال الشعبيّ حول مقتله.

والثاني هو رافع أثقال المدينة، المعروف ببدانته لكثرة ما يلتهمه من أطعمه، مع صوت لا يتلاءم وتلك البدانة، وقد استفاد منه لتقليد صياح الديك. مثلما تحوّل إلى بطل في رفع الأثقال مرورا من المدرسة والمعلّم «ذياب» إلى الجيش، ليصبح «رياضيّاً» معروفا وصوره تنشر في الجرائد»(19).

ـ 11 ـ

فتختلف الوجوه باختلاف الرسوم، كي تتعالق في مشهد جامع هو من الذات الكاتبة وإليها، كأن يثار السؤال : لم استعادة هذه الوجوه، وقد عبرت طريق الوجود لتحتجب في الأخير تاركة أصداء لحيوات كانت ؟

إن الاسترجاع، بهذا المنظور، هو بمثابة الحاجة الملحّة إلى التنفيس أو التصعيد في زمن مثقل بالهموم. مثلما يتحدّد القصد من هذا الاسترجاع، في تقديرنا، بالحافز على كتابة البعض من هذا السيرة الذاتية، وذلك بانتهاج «التخوم» الحافّة بأقاصي دلالة المعنى المتّصل بوجود الذات. فما يعرض من «وجوه» مختلفة يمثّل بعضا من بنية المتعدّد الرمزي في بناء الإسم، الأنا، الذات الكاتبة بمنظور البدء الأول في الشطرة والناصرية والبصرة وبغداد. . .

وكما تتعهّد لحظات الوجود الذاتيّ وتختلف فإنّ الوجوه الموصوفة علامات تصل بين حياة الشارع أو حياة العامّة وبين حياة الخاصة، عودا إلى ذكريات المقاهي والحانات في مدينة/مدن تزخر بمعاني الالتزام ومغالبة الصعاب وانتهاج سبيل المغامرة، ليهدم السرد الشبيه بالسرد الترجذاتيّ كلّ الحدود بين الملهاة والمأساة، وبين الهزل والجدّ في زمن/أزمنة

لا تفارق بين الحياة والموت، بين التاريخ والعبث، بين أوقات الفرح وأعوام الكارثة. ولئن اعتمد «وجوه مرّت» سبيل الالتفاف فهو الكتابة الحينيّة المسكونة بالحنين إلى ما كان، المهووسة برغبة إكساب معنى لوجود راهني فاقد لأيّ معنى.

لذلك يكتسب السرد في هذا الكتاب صفة التموقع بدلالة الحزن الحادث والاستشراف أيضا، إن حولّنا هذه الوجوه العابرة بأطيافها وظلالها ومختلف سماتها وأصواتها التي كانت إلى علامات لزمن قادم ممكن في حياة ذات تغالب الفجيعة بإصرار عجيب على البقاء، وتحدّي الهلاك بالموت، والموت بالحياة ذاتها.

الهوامـــــــش:

1 ـ عبد الرحمن مجيد الربيعي، «وجوه مرّت»، سورية، دار الفرقد، ط1، 2008، ص 93.

2 ـ أشار الكاتب إلى جنس القصة الأدبي في الغلاف الخارجي من الكتاب.

3 ـ «وهو إسم نوع من الصراصير التي تجتاح البيوت خاصة في ليالي الصيف الساخنة...» «وجوه مرّت»، ص 9.

4 ـ السابق، ص 16.

5 ـ «أحد الرموز الاجتماعية والسياسيّة في المدينة والمعروف بانتمائه للحزب الوطني الديمقراطي الأمر الذي جعل عيون المخبرين تلاحقه خاصة بعد أن أمضى عامين في سجن الكوت عقابا له على هذا الانتماء..»، السابق، ص 19.

6 ـ السابق، ص 26.

7 ـ يذكر الكاتب القصف الأمريكي وفتح با المستشفى لخروج المرضى «هائمين عل وجوههم، إذ أخذ منهم الجوع والعطش ورع القصف مأخذه. ولكون إدارة المستشفى عجز عن إطعام هؤلاء النزلاء البائسين..»، السابق ص43.

8 ـ السابق، ص 50.

9 ـ السابق، ص 52.

10 ـ ومن المواقف الطريفة أنّ الشاعر جان دم القادم من كركوك أراد ذات ليلة أن ينام في الفند مقابل التنازل له عن إحدى «قصائده النثرية» فانتقصها رافضا لها ثمنا للإقامة، السابق، ص 53

11 ـ السابق، ص 65.

12 ـ السابق، ص 67.

13 ـ السابق، ص 71.

14 ـ السابق، ص 76.

15 ـ السابق، ص 85.

16 ـ السابق، ص 87.

17 ـ السابق ص 88.

18 ـ السابق، ص 99.

19 ـ السابق، ص 112.

سيميائيّة التّناص في قصص المحسن بن هنيّة

بقلم : سكينة الزواغي*

إن قراءة ما أبدعه المحسن بن هنية ومحاولة تقصي ما لم يرد الإجهار به يدفعنا للبحث عما تساءل عنه جاكوبسون ذات يوم حين قال ما الذي يجعل الرسالة اللغوية عملا فنيا؟.

كل نص أدبي هو رسالة لغوية مشفرة تتضمن في ذاتها الحاضر الظاهر والخفي الضمني.

إن ما يكشف لنا خبايا هذا النص هو علاماته خصوصا وأنّ هذا العمل هو عبارة عن مجموعة قصصية لكننا لا نستطيع أن نختزلها تحت معنى واحد، إن هذه النصوص هي مجموعة قصص مستقلة، فقارىء هذه القصص يخرج في النهاية بقراءة منفردة لكل قصة.

إن ما يكشف لنا خبايا هذه النصوص هو علاماتها باللجوء إلى المنهج السيميائي نستطيع ولوج شفرات النص والغوص في أعماقه وتقصي أبعاده وسماته البارزة.

يعتمد المنهج السيميائي على استراتيجيات معينة للوصول إلى ثنايا النص وتفكيك علاماته بدءا بالبنية السطحية وصولا إلى البنية العميقة من أجل البحث عن النص الغائب الممتد خلف كل إشارة داخل النص وخارجه.

جاءت المجموعة القصصية دون الجهر بالكلام مرنة محملة بكم هائل من الدلالات «ونحن اليوم في عصر القراءة التأويلية نكمل بنية النص بالقراءة ونغنيها، ونعيد انتاجها»(1).

إن النص الأدبي نص قابل لتعدد القراءات وتعدد التأويلات. لقد جاء هذا الخطاب النثري الرومانسي في بعده غامضا في بعض نواحيه، تشعر وأنت تقرأه أنه يشكل مدارا خاصا به تتزاحم فيه الثقافات المنحدرة من مرجعيات ثقافية واسعة ولغة أدبية مشحونة بالدلالات تربط فيما بينها جملة من العلاقات اللغوية داخل نسيج النص. فقد استخدم الكاتب لهذه اللغة نمطا مميزا من اللغة للتعبير عن رؤاه الشخصية ولتحقيق ذلك تداخلت النصوص في النص الواحد.

«من المسلّم به في الدراسات النقدية المعاصرة أن كل نص، نص جامع تقوم في أحشائه نصوص أخرى في مستويات متغيرة، وباشكال نتعرفها إن قليلا أو كثيرا، هي نصوص الثقافة السابقة، ونصوص

* استاذة جزائرية للغة والآداب العربية بكلية الآداب عنابة - الجزائر

الثقافة الراهنة، فكل نص نسيج طارف من شواهدنا على حد تعبير رولان بارت وهو ما لا خلاف عليه منذ أن ظهرت نظرية التناص عند جوليا كريستيفا ثم تطوير جيرار جينات لها، وإن ظل التناص بالمعنى الكريستيفي حاضرا كما هو عند جنيت الذي قام بتعريفه تعريفا مكثفا بحضور متزامن بين نصي أو عدة نصوص عن طريق الاستحضار»(2).

فعلا لقد عمد الكاتب إلى استخدام تقنية التناص لتنساب الصور والمعاني والأخيلة عبر فضاءات القص.

«فقد مثلت هذه الأقاصيص همسات من العشق والرومانسية وانسياب لطيف لعذب الكلام فكأننا نقر بأقصوصة المحسن بن هنية شعرا في حجم النثر أو نثرا شبيها بالقصيدة، إنها اختلاجات قريبة من الوجدان فيها من فصاحة القرآن، وبلاغته، وبلاغة البعض من التلميحات فكان الكاتب جريئا متيقنا عسر هذا المخاض»(3).

إن عمق الدلالة في هذه القصص إنما ينبثق من العلاقة بين وحدات النص ومن العلاقة بين نص التناص ونص الكلام، فإذا دققنا النظر وجدنا أن شخصية الراوي هي الرابط الوحيد بين أجزاء النص في القصة الواحدة وهذا هو ما تسبب في هشاشة الهيكل العام للنص ذلك أن للقص دعائم معينة تساهم في تكوين شعريته ويمكن القول «إن التناص شيء لا مناص منه في النصوص الإبداعية

قديمها وحديثها لأنه لافكاك للإنسان
شروطه الزمانية والمكانية ومعطيا
التاريخية والثقافية بالمعنى الشامل للثق
ومن ثم لا فكاك لمنتج النص أيضا
تكوينه الشخصي، الذاتي والجمعي، أ
لا فكاك له من ذاكرته النصية فأساس إنت
أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وه
المعرفة هي ركيزة تأويل النص من ق
المتلقي أيضا كما هي خلفية مرجعية أساس
في عمليتي إنتاج النص وتلقيه وقرا
ومشاهدته وإخراجه وعرضه جميعا»(4).

إنّ الكاتب في هذه المجموعة لا يظ
العنوان الرئيسي للمجموعة بين العناو
الفرعية وهذا تطابقا مع دلالة العنوان
ذاته أي أن الرغبة في عدم الجهر رغبة يقص
بها أن تمتد عبر كل أقصوصة.

لقد اعتمد الراوي إلى جانب تقنية التناص
والسرد على الإيماءة «والإيماءة في ح
ذاتها بمثابة الشفرة السرية التي تخلق نو
من العلاقة الخاصة بين المرسل والمتلقي
وتحمل معان تكون اللغة قاصرة ع
توصيلها، فقد لا تنقل إيماءة دقيقة مجموع
كبيرة من الدلالات تكون أكثر امتلاء م
الدوال اللغوية»(5). ووجود هذه التقن
تجعلنا لا نستطيع أن نختزل النص الكل
(كل المجموعة القصصية) تحت معن
واحد وعليه فإننا نستهدف من خلال القرا
محاولة الدخول من نافذة التناص بشكل

مجمل إلى ما يمكن أن تستحضره أو تخفيه أنواع التناص المختلفة في هذه القصص التي لابد وأنها تتبلور في داخلها معنى أو بالأحرى معاني معينة ذلك «لأن الجنس الأدبي الذي يقوم ببلورة هذا الطرح ليس على وجه التحديد الشعر الغنائي الذي يكاد يستنفذ الطاقة الإبداعية للإنسان العربي في الماضي وأصبح صراع التحديث فيه من المناطق المتفجرة التي تتدابر عندها الاتجاهات والأجيال وانما هذا الجنس الجديد هو الذي يسمح بابراز عناصر الوعي الاجتماعي من خلال امتلاك اللغة والحياة معا، والشروع المتزامن في تكييفهما مع ضرورات التحدي الحضاري الراهن، وهو القص بمستوياته العديدة وأشكاله المختلفة»(6).

لقد جاءت هذه المجموعة القصصية رومانسية في معظم معالمها وسنرى أثر القراءة فيما أوحت به تقنية التناص من صور أشمل وأعمق بكثير مما أوحى به مدار القص بقوالبه العادية.

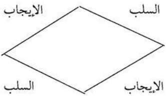
إن التناص يغازل المعنى فيروّضه محاولا وضعه في سياق نقدي متعدد الزوايا، ،ومحاولا أيضا استرجاع قيم النص الغائبة ورفع كفاءته المعرفية ويبرهن القاص على نضج آلياته وعمق وعيه بتناول ذلك من منظور رومانسي فج وتصوير أحداث وبث رؤى تسبح في فلك ساحر من الأمنيات، مما يجعل شعرية القص تنبع من زخم الذات لتصل إلى الآخر الذي هو في أغلب الأحيان غير محدد الملامح تقيدا بدلالة العنوان دائما. وهذا ما جعل دلالة القصة الواحدة لا تنبع من مشهد بعينه وانما من العلاقة بين المرسل والمرسل اليه فإذا فحصنا بنية هذه القصص ندرك جيدا أن السر في نثرية القص وجماليته يكمن عند محسن بن هنية في اعتماده على ضمير المتكلم باعتباره الشخصية الممتدة عبر مساحة هذه القصص.

لنقترب من النص الأول وعنوانه (مراودة) وهو في الحقيقة مراودة الطرفين لبعضهما البعض، يجهر فيها الراوي بمراودته لأنثاه المتخفية وراء تاء التأنيث.

يسترسل الراوي في الحديث مؤمنا بحتمية القدر، مخبرها بأنه قدرها المحتوم.

وهنا يوظف تناصا قرآنيا لكنه غير صريح يظهر في عبارة «سيدتي اختفي. . تحفي. . لن تكوني إلا كما أراد صاحب أمر الكاف والنون أن تكوني»(7).

مع التمجيد لسلطة القدر المحتوم وأن أمرها سيؤول اليه، يخلص المؤلف إلى فكرة التكامل بين جنسين أي بينه وبين أنثاه : أنت السلب وأنا الإيجاب وأنا السلب وأنت الإيجاب.



إن وجود السلب والإيجاب هو أبرز العلامات الظاهرة بل هما قطبا هذه العلاقة وهي العلاقة الطبيعية الأولى بين حواء وآدم وإن ما ينقص في آدم تكمله حواء وما هو ناقص في حواء يتمه آدم فلم المكابرة إذن؟ لعل المكابرة هي أحد دوافع المراودة ولكن من سمات الأنثى أنها تكابر وهذا ما يجعل المؤلف يمضي في عد المسافات بين قطبين هما ركنان أساسيان من أركان الحياة حواء وآدم : هما سبب الخصب والنماء والتكاثر في هذه الحياة يقول : «أرضك عطشى إلى مطري جداولك في سفر إلى أنهاري.. فلا تجدفي ضد التيار وسلمي كما قال صاحبي، أنا خيرتك فاختاري ما بين الجنة والنار»(8).

إنها ترجمة ثانية لمسألة السلب والايجاب لكنها تأتي هذه المرة بمفهوم الخصب كما سبق وذكرنا ذلك أن الأرض العطشى لا ترفض المطر، والجداول تحتويها الأنهار إذن فلا داعي للمماطلة ومحاولة الفرار. يجدر بي أن أشير إلى أن الأرض كعلامة بارزة في هذه الجملة إنما هي رمز الاحتواء هي الأصل في كل شيء وحتى تخصب هذه الأرض لابد لها بالمطر لم يقل الماء لأن نقطة الماء قد تدل على السقي ولكنه ذكر المطر الآتية من السماء ليقابل بين طرفين خلقا ليكملا بعضهما البعض الأرض والسماء، إن سرّ شموخ آدم كبرياؤه وهذا ما دفع به إلى البوح في مقام التناص الشعري الثاني إني خيرتك فاختاري ما بين الجنة والنار بحقائق ملموسة تنم عن ضيق مجالها وضرورة الاختيار. إن ضرورة الخضوع اليه إنما تعادل مسألة العودة إلى الأصل، والأصل هو منطق الصحابة والرسل وتتمثل شعرية الرغبة في الخصب والمراودة بأقوى أشكالها في نوع من الثقة المنقطعة النظير وبالقدرة على المراودة يقول: «أيحق للأرض أن ترفض المطر وكيف لها بطرح القحط والجفاف المميت وتغمض العين عن غيماتي وسحبي ورجيف الضنى يتصاعد من هضابك ولهف جداولك لمطري يستغيث بي ويعوذ بك من شر العقل والمنطق والشرف»(9).

إن ثقته بنفسه وبكونها ستستسلم في النهاية، هو في الأساس أهم عامل للمراودة يشير إلى رغبة الإنسان في تحدي الأشياء وهو فوق ذلك دليل على ضعف الإنسان وقد فطر الإنسان على ذلك وقد نجح الراوي في استفزازها ولأن القوة لا تظهر إلا عند الافضل الذريع لا تظهر حتى يثبت الفرد لنفسه أنه قادر على تخطي الفشل. فعندما نتأمل عبارة «انتصبت.. تراجعت..

أقبلت . . نظرت . . ارتفعت . .
انخفضت . . تنهدت . . طأطأت . .
كذبت . . صدقت . . تيقنت . . تشظت . .
التأمت . . عادت . . جلست . . سكتت . .
أنصتت . . »(10).

يتبين لنا أنها مجموعة من الثنائيات الضدية ونمثلها كالآتي :

ارتفعت * انخفضت
تراجعت * أقبلت
كذبت * صدقت

تنهدت * طأ طأت
تشظت * التأمت
سكتت * أنصتت

التردد في الإقدام على القيام بالشيء

إنه لم ييأس وتابع مراودتها متكأ على السرد فحسب مجهضا امكانية الحوار محاولا استفزازها وتحريك طاقتها المخبوءة من أجل الوصول إلى حالة الانفعال فتبدو هذه الثنائيات الضدية وكأنها معادلات تصف صراع الذات حينا وتشظيها حينا آخر، إنها أمام خيار صعب بين مد وجزر هذا ما توحي به طبيعة الدلالات الشعرية المتأرجحة بين مستويين بين منخفض ومرتفع، إنه اقبال وإدبار، يبدو أن هذه هي فاجعة الدلالات، إنها ترفض وتردد في القبول لأنها مترددة أمام حلمها. لكنه لا يتردد لحظة في أن يطلق عقال الدلالة مدها وجزرها وترددها فيصفها «انقضي عنك الثوب وتعري، حطمي عنك القيد وانطلقي حرة كنور الضحى في سماه» تسترّي بشعاع الشمس سر الحياة.. وانظري لرف سدت أبوابه دون شعاع الشمس..»(11).

ويطلق للدلالة العنان بمقام آخر من مقامات التناص الشعري المتمثل في عبارة «حرة كنور الضحى في سماه» فلا يكفه ترددها وانما يخرجها من شرنقتها بدلالة شعرية مميزة لأنها تضع الدلالات برهانا على ذلك. إنما يدعوها برومانسية حالمة تسري في الزمن الوردي، يدعوها إلى أن تنطلق حالمة مثل نور الشمس.

فاجعة أخرى من فواجع الدلالات : «وانظري لغرف سدت أبوابها دون شعاع الشمس، هل يدخلها الربيع.. وتزهر فيها الزهور.. وتزقزق فيها العصافير.. أو ترفرف فيها الفراشات الجميلة..»(12).

تدخل الدلالة الآن في سياق علاماتي جديد، فالغرف من دون شمس لا توحي بالحياة فالربيع دلالة الحياة بكل معانيها.

حينما تغادر الشمس المكان كأنما غادرته الحياة. علامات كثيرة في النص وجودها مرتبط بالشمس، الشمس مبعث الربيع ومبعث الزهر. ويستمر في الإصرار على مراودتها : «لم الانتظار وعيشنا طيف خيال وأيام معدودات ما أدبر منها لن يعود»(13).

إن هذا الإصرار العنيف منب داية النص إلى ما وصلنا اليه يمكن أن يفتح أفق القبول والبشارة وتتعاضد مقامات التناص فيستولي السارد على صهوة الكلمة من أول النص

إلى آخره ويستولي على القيمة الدلالية في هذا النص فيتأسس الدفق الدلالي ليكون ذلك التدفق موازيا لتدفق شعري تناصي دائما بقوله «تكلمي.. انطلقي.. اصرخي.. ثوري.. انفجري.. استبدي فإنّما العجز من لا يستبد.. سيدتي لا تقفي كالمسمار..»(14).

هكذا يظهر ادم أقوى وأكثر جرأة من حواء، وبهذا يسد كل مناحي العجز ناطقا بما يمكن أن تفكر فيه هي لكنها ترفض الاعتراف وهذا ما يجعل النص يبقى دائما في حالة زخم علاماتي وفيض دلالي كبيرين آملا في تجسيد اللذة وقد أفلح السارد في أن يجعل نصه ينمو نموا نثريا وشعريا في آن واحد.

إن تداخل النثري والشعري يدعم القيم الدلالية الكلية للنص مما يميز هذا النوع الفني عن أنواع أدبية فنية أخرى ولا ريب في أن التفاعل الدلالي المشترك بين الجمل النثرية والجمل الشعرية يؤسس أفقا جديدا لتدفق المفردات وانسياب الدلالات بنوع من التدفق العفوي في التعبير ولعل هذا يعتبر بعثا جديدا للنص الأدبي ولطرائق تلقيه، وتأثيره في الملتقي، خاصة عندما ينحو السارد منحى آخر من مقامات التناص وهو التناص القرآني وهذا جانب آخر يرتكز عليه في مراودته لها، حيث ما زال بعد لم ييأس منها ومن ذاته. إن منطق الشعراء يخيفها، وهاجس الإبداع والفن فيه يرهبانها، إنها لا تقوى على تصديقه ولا تلبث أن تصده بكلام جارح نظرا للصو البيانية التي يحملها والعلامات القو الموحية التي ينطوي عليها. يقول «أمثالك يقولون ما يلا يفعلون وما يتبعه إلا الغاوون ثم انكم في كل وا تهيمون»(15). إن حواء هي دائما حواء لم تتغير، ما أجمل أن تحمل بداخلها من هو أقوى منها ومن شطحات النفس وجموحها لكن هل أضناه ما قالت، هل أحزنه ذلك هل أدمى قلبه أم جعله يتراجع خطوة إلى الوراء؟ كلا وهذا ما جعله يفكر بصوت عا «نحن ومن تبعنا صدقنا في الهوى وغوينا فلنعم الغاوون وكنا في ذلك؛ وفعلنا وه نحن بكاذبين»(16).

لا شيء يخجله في الجهر بعواطفه: «ها أ أتعرى وأستشف هذه هي حقيقتي في كل حين زاغ البصر منها ونزلت عليها أمطا اليقين»(17). إنه يتعارض مع نمط تفكيرها إن امتناعها يعني فناءها ولكنه ضد هذ الفناء، فلا حب بلا حبيبة ولا آدم بلا حوا ولا أرض بلا مطر وتأتي للنص دلالة الجمالية العامة لما انبثق من داخل النص تناصا آخر، تناصا تاريخيا «وفتحت أبواب كنوزها، هز المكان ووقف الزمان وغشيه ريح العنبر. وأينعت جنانها وأثمرت وحا وقت قطافها وسالت جداولها وتدفقت تجري من تحتها ومن فوقها»(17). يعتبر هذا التناص الأخير بكل علاماته بيان علني عن حالة عاطفية متألمة ترفض بؤس

الحاضر وتخوف الحبيبة وفشلها في الإقدام كل مرة، يفتح مجالا لسماعها وكأنها أدركت تماطلها، وبخلها وعرفت ما أمكنه فعله من أجلها.

كأنها تقفز من حاضر متوقف إلى مستقبل ينبض بالحياة مستقبل أمره صاحب الكاف والنون. لينتهي النص نهاية مختلفة تنبىء بأن المراودة، مراودة النفس لرغباتها.

إن هذا النوع من الكتابة إنما هو يجسد طريقة مميزة من طرائق الخلق الفني استثمر فيه طاقته الطموحة لبناء خطاب نثري يعثر فيه على رؤيته الفنية وهو يناشد الحب والرغبة بنوع من الدوال المفجرة لمدلولات رمزية تصويرية تفرز إشعاعا لغويا يثري تجربة القص لدى القاص ويثري أسلوبه، ويوحد المخاطبة مع العلامات ويوزع مقصود دلالاته توزيعا حسنا على امتداد النص.

الهوامــش:

1 ـ د. خليل موسى، في الشعر العربي والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 17.

2 ـ د. محمد رجب النجار، توفيق الحكيم والأدب الشعبي، أنماط من التناص الفلكلوري، ص 124.

3 ـ المحسن بن هنية، دون الجهر بالكلام، دار الاتحاد للنشر، ص 8 /9.

4 ـ د. محمد رجب النجار، توفيق الحكيم والأدب الشعبي، أنماط من التناص الفلكلوري، ص 14.

5 ـ سيزا قاسم، حول بويطيقيا العمل المفتوح، قراءة في اختناقات العشق والصباح لادوراد الخراط، ص 234.

6 ـ د. صلاح فضل، شفرات النص، ص 224.

7 ـ المحسن بن هنية، دون الجهر بالكلام، ص 13.

8 ـ المحسن بن هنية، دون الجهر بالكلام، ص 13 /14.

9 ـ المصدر نفسه، ص 14.

10 ـ المصدر نفسه، ص 15.

11 ـ المحسن بن هنية، دون الجهر بالكلام، ص 15.

12 ـ المصدر نفسه، ص 15.

13 ـ المحسن بن هنية، دون الجهر بالكلام، ص 16.

14 ـ المرجع نفسه، ص 16.

15 ـ المرجع نفسه، ص 17.

16 ـ المرجع نفسه، ص 17.

17 ـ المرجع نفسه، ص 18.

18 ـ المرجع نفسه، ص 18.

الإبـداع الشعـري الـراهـن
بين بنية التراكم ورمزية الأداء

بقلم : مصطفى بلمشري*

لقد امتلك الشعر العربي المعاصر، كل روافد التطور والتنوع، وتبنى رؤى فنية وجمالية جديدة، مست النهج الإبداعي الواعي، ووجدت من الإبداعات الشعرية، ما جعله ينمو ويترصع بلآلى جديدة، ويتمكن من إبراز الواقع الاجتماعي والسياسي في مقاساته الحقيقية، وإعطاء إرهاص واستشفاف لجملة من الحالات والأوضاع في مجالات شتى من المجتمع العربي.

وفي الوقت نفسه، سعى هذا الإبداع جاهدا للتخلص من زعانف الشكل التقليدي، وجهد أيضا في سعيه للاتصال بالتشكيل الشعري في بنائه المتكامل الناضج، وهو إذا كان قد سار على هدي من خصائص الشعر الحداثي، الذي تعمق في الساحة الأدبية العربية، وأفرز رموزا شعرية انضجت هذا الشعر الحداثي، ولعل أكثر من السمات الجمالية اقترانا بالشعر المعاصر، فضاءاته الإبداعية، وقدرته على تكثيف اللحظات الشعورية، وتمييزها بهالة صورية، تتعالى عن الحدث العارض، والموقف العابر، وتمنحه قدرة وقوة التجريد والتجديد في إطار معماري جديد لتأسيس بلاغة فنية لصيقة بالواقع والحياة اليومية.

ومن ثم تبقى لكل شاعر مبدع وفق درجة رسوخه وخصوبة رؤيته ومعاناته، من إعطاء الأدب البديل الذي يخلق الحياة خلقا جديدا.

إن الإبداع الشعري الراهن في الوطن العربي يحمل امكانية تعايش كل الأشكال على أساس الإبداع الشعري والموضوعية بعيدا عن الجمود وأبرزها يطالعنا به الشكل الفني لهذا الإبداع فيمكن القول إجمالا بأنه يجري على العموم في اتجاه أسلوبي حديث يقوم أساسا على اعتماد الصورة جسما للفكرة وبعدا أماميا لها في إطار من النظم الحرة بحيث بلغ مستوى مرموقا من سياق التعبير الجمالي المعافى وأثبت قدرته على استيعاب جماليات الكتابة الشعرية ونظمها بانفتاح عجيب وايجابي لأنه يظل أكثر الأجناس الأدبية قدرة على سؤال الذات والتاريخ والكتابة فكل سؤال عن وظيفته في

* كاتب من الجزائر (خميس مليانة)

ملء الشقوق والشروخ والفراغات يضحى مرتهنا بتحديد طبيعته ومادته وسبل تشكيلها ووسائل إبلاغها وصلتها أولا وأخيرا بقضايا الإنسان في عالم يمر بالمتغيرات والمفارقات.

ومما لا شكّ فيه أن الإبداع الشعري الراهن في حالة نمو وتعملق صحي فهو الجنس الأدبي القادر على تصوير تجليات شبكة العلاقات المعقدة في المجتمع وتجليات تطور مسار الحياة في كل جوانبها المختلفة منها المسار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي، لقد تمكنت الكتابة الشعرية المشبعة حداثة وعصرنة ملء شغورات إبداعية وجمالية مفترضة وكان التجريب ملاذ الشعراء المعاصرين لانتاج الفعل الإبداعي ورصدا لتطلعاتنا الجمالية وإلى ما نصبو اليه من تشكيل لمساحات أسئلة الحداثة القلقة تجاوزا للمتداول والسائد في انتاجاتنا الشعرية القديمة فهذه الكتابة الشعرية تختزن طاقات محتملة على تغيير عالم الإبداع الشعري وتبديل أفقه وتغيير خريطة حدوده باعتبار صلته بالعالم إذ هذا الشعر المستفيد من الموروث الشعري استطاع طرح واستيعاب المفاهيم الفكرية والمآزق الوجودية والرؤى الفنية الجمالية فاستقطب كل المكونات الفاعلة وأعاد انتاجها في ضوء السياق البنائي العام لفن الشعر.

من هذا المنطلق فالتجريب هو أحد أبرز تمخضات العصر الحديث لأنه يؤكد أن الشعر الحداثي الراهن هو ابن الحداثة بمفهومها الثقافي حيث استثمرت المعطيات الفنية الإبداعية لهذا العصر لكونها آليات جديدة طرحت البديل الجمالي والأسلوبي والتعبيري ويشكل التجريب في مدونه الشعر الراهن، منعطفا هاما في التعبير عن عمق الرؤية الإبداعية وعمق الوعي الفني والجمالي تجاه قضايا راهنة باستخدام الرمزية في أبعادها الايجابية ولغتها الانزياحية لترسيخ الدلالة في البنية النصبية.

ولعل هذا ما يمكن أن نفسر به التنوع الشديد في أساليب الكتابة الشعرية عند هذا الجيل المعاصر وهذا التنوع نفسه هو الذي خلق رؤى جديدة في الإبداع الشعري الراهن وفرض عليه أن يكون إشكاله الأول بحثا عن آليات التعبير وأشكال المضامين وتجديدا في طرائق النظر وأساليب التخييل حتى يكون ذلك عنوان حداثته.

لا ريب أن تطور الإبداع الشعري وبقاءه على أصالته ونقائه مرهون بما يطرأ على رؤاه الفنية وفق قواعد ومعايير واضحة وبها من الكفاءة والجودة ما يجعلها تعتمد أساسا على الافادة من عوامل التجريب التشكيلي لتحقيق نوع من الفرادة الجمالية في النص، وهذه السمة تجعل الإبداع الشعري يحتاج إلى نقد يمتلك معارف ومهارات التقييم

الأدبي.

وإن المتأمل في الأداء الإبداعي داخل هذه التجربة الشعرية سيجد أن الشعراء المعاصرين وظفوا تقنيات فنية مبتكرة مارست تأثيرها الجمالي على النصوص الشعرية فأخصبتها وهجنتها، وأثرت طبقاتها القرائية وعمقت وعيها الثقافي مما جعل هذه النصوص تراهن على تشكيل أدائي رفيع لغة وتصويرا وإيقاعا وإن اعتورت مكونات هذا الأداء التعبيري والتركيبي والصوري نثرية بسيطة كثيرا ما كانت تطيل من عمر المخاض فتعسر الولادة الإبداعية التي تتطلب دأبا وجهدا وجدية تعلي من قيمة الجودة الشعرية والأصالة في الإبداع.

فإذا كان الإبداع الشعري العربي على هذا النحو لدى هذا الجيل فإن قراءتنا النقدية ستكون مسايرة له محترمة لخصوصيات هذا النوع من الإبداع لأنها خصوصيات بمثابة البيان النظري لنمط الكتابة الشعرية عند هذا الجيل عامة كما تصور هذه المقطوعة الشعرية للشاعر اليمني صاحب خليل إبراهيم الذي يقول فيها :

توهجت في قلب سوسنة
على قلق من مواعيد توصد أبوابها
والشبابيك...
يمر علينا لهاث الرياح
بليل الحنين
يذوب على رحبه كل عطر المنافي
ويشرد بي كل درب لعش
تقشره الريح لانكسار جميل...
وتفيض سماء المدينة فوق الطريق
مقاعد المتعبين.
لا شيء غير العيون الخبيئة تحت..
الظلام.. ولا شيء غير النجوم الخبيئة
تحت الغمام

إن الشاعر صاحب خليل إبراهيم يجسد لنا يقظات عابرة عن الحياة الاجتماعية وعلى دنيا السوى الماثلة من حولنا، فيعكس لنا الإحساس بالعزلة وذلك من خلال صورة شعرية غنية بتكثيف الرمز والإيحاء، مما تجعل لشعره قيمة الرؤيا ذات الآفاق الواسعة والأبعاد والمرتكزة في الوقت ذاته إلى نظرة متماسكة وموقف موحد من الحياة ويمتاز تعبيره الشعري بتقنية أسلوبية ناصعة تصب في سياق الخط الشعري الحديث.

إن وعي الواقع كمعيش ووعي الشعر كإبداع وكممارسة نصبية جمالية هو ما حذا بالشعراء المبدعين إلى أن يقولوا إن الشعر أداة للتغيير وأنه لا يجمد في إطار واحد بل هو إبداع حي متجدد يتعامل مع المفردات والمتغيرات الثقافية بشكل فني خلاق، فهو إبداع حداثي يملك قابلية التماس مع رؤى جمالية تساهم في تشكيل ذائقة شعرية جديدة من خلال وضوح الفكرة وتشكيلها السينمائي وضروب انشغالها داخل النص في مستوييه الفني والدلالي كما نلمس ذلك

في قصيدة (لا أرض لي) للشاعر الأردني منير محمد خلف التي يقول فيها :

غريب مكاني..

على هذه الأرض..

لا أفق يفتح لي صدر أحلامه..

لا هواء يفتق لي سوسنات الحياة..

لكي تتمطى بروحي حقوق الأمان..

غبار زماني..

وروحي معبأة بالأنين..

ولا صوت يمنحني الدفء

فيها أيها الواقع المر..

لا تكون روحي.. بنار التوجع والانكسار

إن أول شيء أساسي يطالعنا في شعر منير محمد خلق في مجال المحتوى الذي يرتكز إلى واقعية المعاناة وأصالتها الحياة الغامرة، التي تنطلق منها رؤيا الشاعر لتحولها إلى صورة وأشكال من الحلم وأجوائه الفنية المتطورة عبر أساليب التعبير الفني والأداء الجمالي بالاضافة إلى وسائط الإيحاء النغمي والايقاعي التي وضعها الشاعر للتركيز على محور التجربة وتحويلها إلى حلم تتمادى فيه بالشكل المؤسس على بنية متجانسة منضبطة واعية معاصرة.

وعليه، فإن الإبداع الشعري بتجاربه المتنوعة بالاتجاهات الفنية المعاصرة تتماشى مع الحداثة العالمية أو الغربية.

وما تجدر الإشارة إليه أن الكثافة والاقتصاد يلعبان دورا كبيرا تقصي واصطفاء دلالات اللغة النابضة والمتأججة بمشاعر وأحاسيس وخصوصية اللحظة المضاءة في النص الشعري الذي يستنهض كل أدواته الفنية كي يبني لحظاته الشعرية فيما يحتفظ بلغة متوترة خصيبة تثري الطاقة التعبيرية لأدائه الشعري، هذا ما نلاحظه في هذا المقطع من قصيدة (وسطر وحيد من الشعر يكفي لهضم الزمان) للشاعر الأردني أحمد الخطيب، حيث يقول :

وسطر وحيد من الشعر..

يكفي لهضم الزمان

ونص وحيد يؤثث هذا المكان

أقول لمن كان يمشي وحيدا

تعجل بيومين..

لا شك أنك في سالف الدهر

حين تغشى دم الزعفران

روحي ستدخل في مقام المطمئنة

فهي التي جمعت..

خطاب الشعر في لدن الأسئلة.

إن الشاعر في هذه المقطوعة الشعرية يرتفع إلى مستوى المعاناة الفلسفية، ومناجاة التحسس بمأسوية الوجود الإنساني فهو يقف موقف التمرد الايجابي على كل ما يتمثل فيه بؤس الواقع الإنساني العام من نظم وعلاقات وقيم وتتسبب في إشقاء البشر وفي تمزقهم وضياعهم فالرؤية الإبداعية عند الشاعر أحمد الخطيب تمتلك مخزونا من الدلالات والتشطيات مع براعة في رسم

الصور المعبرة عن الواقع والمتخيل، حيث تنتقم الدلالة خارج حدود المتوقع الشعري بتوقيعات قصيرة ومشاهد تصويرية تشبه عدسة الكاميرا في التقاط المشهد الحي بلغة حية متسلسلة.

ومن الأهمية بمكان، ان الإبداع الشعري المعاصر قد اتسم بظاهرات خاصة تتضمن نظرة شاملة إلى الذات الإنسانية وإلى المحيط الإجتماعي والعالمي وموقفا حاسما من الحياة والتاريخ، وهذا ما تعكسه قصيدة (المغلاة) للشاعر السعودي تركي عبد الرحمن الزميلي :

تكومت.. منكفأ تحت ثقل القيود

وأبصرت ذلي.. يعانق جوعي وفقري.

ينادم أنيابها في ضلوعي.

وزاد اندهاشي..

... على الأرض منكفىء

وصراخي.. مست بلا كفن.

وفمي.. خلف ظهري يطفر برقا

تحلب للسكر المتناثر.. يلعقه

وعدت.. كما اعتدت

أنزف حتى انقطاع الوريد

وها أنا ممن تحت الأقدام..

أدرك أني ممن تحت الأقدام..

أدرك أني بهذا الحريق الممض.. الوقود

ويشهدني فمي المتحلب.. والمتلعثم.

إن الشاعر عبد الرحمن تركي يبعث من خلال هذه المقطوعة الشعرية آهات مكتومة تصور معاناته الاجتماعية مغتنية بأبعاد إنسانية التي تعكس موقفه كإنسان يعيش في إطار حركة الحياة فهذا الموقف يعمل على إبراز سمات الاستسلام والضياع في صور ورموز وأشكال فنية، تكثف تلك السمات وتظهر قبحها وتعرّي زيفها، حتى ينهض أمامنا بناء فني تكاملي لأحد وجهي الصراع، في حرثة التاريخ العربي المعاصر، وهو الوجه المأساوي وجه مزالق الغيبوبة الماورائية وتحصيل ما سبق أن القصيدة الجديدة كانت لديها خصوصيتها الرؤيوية التي جعلتها تؤسس وجودا فنيا مختلفا ومغايرا عن الشعر القديم بحيث يتجلى هذا التجديد في اتخاذ الإبداع الشعري لنفسه قالبا يعبر عن سحر وجماليات التجربة الجديدة.

وهذا الشاعر سالم المساهلي (من تونس) الذي ظل تواقا للجديد يبحث عن الكلمة التي لم تقل بعد، تبني شكلا شعريا جديدا فعمل إلى خلق كيان لغوي مغاير وإطار معماري جديد إلى القول في قصيدته تحت عنوان (معترك القصيد) :

لا شأن لي بالتيه والتهويم..

في رحم السديم..

لا شأن لي..

بزراعة الأحلام في شارد الغيمات..

في سحب الكلام..

الوجد يصهل في دمي..

والقلب من وهج..

إلى وهج يضيء..

الأرض تغمرنا هنا..

وجعا وعشقا عاليا..

عبق الرياض يهزني..

والخطو يحضنه التراب..

ولم السباحة في الضباب؟..

فهذه القطعة الشعرية تعكس إحساسا عنيفا بالدهشة أحيانا وفيها إدانة لكثير من وجوه المعانات والمأساة والتغرب في حياة الإنسان المعاصر ولعل أبرز وأوضح معاناة عنده هي التيه في رحم السديم فهو يزرع الأحلام في الغيوم الشاردة وفي سحب الكلام وقد كانت الطريقة التعبيرية عند الشاعر سالم المساهلي تتجه اجمالا في الاتجاه الفني الحديث ذي دلالات رمزية وايجابية تعكس تجربته الحياتية في صفاء موحي وإشراف فني تصويري.

وكذلك نجد أن الشاعر السوري مصطفى النجار في قصيدة (حلم تفتح في أباريق الندى) يجسد قيما إنسانية منبثقة من تجارب اجتماعية ومصيرية مرتبطة برؤية ايجابية لموقف يؤكد على وجهي التناقض في حركة الحياة، إذ يقول :

حلم تفتح أم تكاسل..

في ظلام قصيدة..

ملئت بأحداق السكارى..

حلم تألق تطاحن..

وفي استغاثات الصغار

وفي أنين قرنفل..

حلم توحد أم تبعثر أمة؟

لا شيء.. لا.. متوحد غير الجراح

وغير موت شاهر سيفا وعارا

وطيء الوهاد.. أغار في وضح النهار..

على تفتح وردة...

إننا نلمس في هذه الأبيات رؤيا فنية كاملة وهي على الأخص مأساة تاريخية ونفسية عانتها الأجيال العربية وشعور الأمة بضياع المنارات والهدف كما نلاحظ على التماعات تجسد يقظات عابرة على الأبعاد الفكرية والاهتمامات الإنسانية وعمق صلتها بمشاغل الإنسان العربي وعلى حضوره في معركة الحياة.

وفي نفس الاتجاه يصب شعر حسن خشاب من المغرب في قصيدته (قال أبو الهول) :

تصوم عن القول دهرا..

وتمسك جمرا..

ولا تتألم.. تكلم..

تكابد سقما..

وتحمل هما ولا تتبرم..

تكلـــــــــــم..

كأنك أبكم..

كأنك أعجم...

تكلـم.. تكلـم.. تكلـم..

إننا أمام شعر ينعكس فيه جانب من جوانب الحياة الاجتماعية فبغض النظر عن عوائق

النثرية في أسلوبه الفني نلمس في قصيدته موقفا شعريا رؤيويا ذا أبعاد غنية في محتواه وغنيا في أسلوبه التعبيري.

ومن خلال دراسة المنجز الشعري المعاصر يمكننا التعرف على تنوع دلالات الرمز في النص الإبداعي الذي تشكلت هيئته بهذا الرمز وانعشت روح القصيدة بالشعرية التي هي من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية التي هي بنية تتكون من بعض الرموز التي تحاول استلهام دلالة الرؤيا من وراء المفردات اللغوية المتراصة والمعاني المهومة والمزروعة في فضاءات النص فبالاضافة إلى رؤى فنية جديدة مارست تأثيرها الجمالي على النص الشعري، قد أخصبته وهجنته وأثرت طبقاته القرائية.

وما يلفت الانتباه في تجربة الشعر العربي الراهن، هو حضور التناص الذي يدخل في التشكيل الصياغي عن طريق التداخل التوليدي، باعتباره العنصر الأساسي في التجربة الإبداعية الحديثة، بحيث تتواشج الصيغ التركيبية والبنيوية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين، فتتسع دائرة المنابع النصية إلى كل ما يشكل التراكم المعرفي والقرائي والتواصلي، ومن هنا نجد شعراء يمثلون أجيالا مختلفة، واتجاهات متنوعة في الإبداع الشعري، إلا أنها تلتقي في الجمع بين تقديم المعادل الجمالي لقيم الحياة المعاصرة، وبين الحضور الواضح للموروث الثقافي والأدبي، وبالتالي دخل هذا الإبداع التشكيلي الفني الجديد في دائرة المغامرة والتجريب والتحديث.

يضاف إلى كل ذلك أن بعض الشعراء المعاصرين وظفوا رؤى جديدة، كاستخدام الانزياح اللغوي والأسلوبي، وذلك باستخدام اللفظة استخداما جديدا يجعلها قادرة على التعبير عن معنى آخر، يختلف عن المعنى الذي تواضع عليه مستعملو اللغة إلى جانب اللغة المجازية والاستعارية الكثيفة التي تجعل من الانزياح الأسلوبي مظهرا شديد الوضوح.

وهذا شاعرنا الكبير محمود درويش الذي يعتبر شاعرا حداثيا، فاحداثة هاجسه، وهو ضد القصيدة المنشغلة بالبلاغة والسجع، ومن يقرأ شعره يتبيّن مشروعه الجمالي وملامح لم تكن موجودة لديه من قبل، كما في المقطع:

أرى نفسي تنشق إلى اثنين
أنـــــــــا
وإسمـــــــــي
لي وجه يحاول أن يراني
سبحان يا سبحان
لي وجه أحاول أن أراه
لكنهم عادوا إلى يافا ولم أذهب
بيني وبينك «نحن»
فلنذهب ليلغينا ويتحد الوداع

فالشعر عند محمود درويش يحمل هوسا تجريبيا واضحا بهذه اللغة التي تتحول فيها شخصية مركزية، ومن ثم، فإن المتأمل في التشكيل اللغوي عند هذا الشاعر، سيجد السارد يسلك لنفسه فيها لغة معرفة في البوح الشاعري، فاصبح نصه الشعري يمتد إلى فضاء أبعد من هموم اللحظة الرآهنة، فيقول في مطلع آخر :

أختار يوما غائما لأمر بالبئر..
القديمة ربمـــــا..
امتــلات سمــاء..
ربما فاضت عن المعنى وعن..
أمثولة الراعي.. سأشرب حفنة
مـــن مــائهـــــــــا..
وأقول للموتى حواليها..
سلاما أيها الباقون

إن أسئلة محمود درويش أسئلة عن التصدع، الذات، الهوية، وهنا الهوية تعني الحداثة، فيضمر شعره ما يضمره، من غموض والأنا تتناثر في الضمائر، فيكون الالتباس بين الحكمة والجنون، بين الانتماء والاغتراب.

إن من يتأمل تجربة الحداثة عند محمود درويش، يجد أنها ترتكز إلى اللغة الانزياحية، فيخلق نصه الجمالي، فالرمز عنده يأخذ مكانة متميزة إذ يشكله تشكيلا جديدا، ويعتبره جوهر العملية الإبداعية في بعدها الجمالي والفني، فيعطي بذلك لنصه طاقة جديدة على النمو والإخصاب.

كما يقول في نصه :

وأريد أن أتقمص الأشياء
قد كذب السماء عليه.. أشهد
أنني غطيته بالصمت
قـرب البحـــــــــــــر..
أشهد أنني ودعته بين الندى
والانتحـــــــــــــار..
هذا انتحار العاشق

وتأسيسا على ما سبق نقول إن الإبداع الشعري العربي يراهن على تشكيل أدائي رفيع، لغة وتصويرا وإيقاعا، بحيث انفتح على عوالم ثقافية ورؤى فنية متنوعة، وهذا ما نلمسه عند الكثير من الشعراء العرب في عصرنا الراهن، وهذا شاعرنا العربي الفلسطيني ماهر رجا، صاحب ديوان (الغريب... وأنا) يرصد لنا تجربة إنسانية عميقة، فجاء شعره اكتشافات إنسانية وشعرية، اعتمدت على الترميز والتجريب والتحديث، الذي كان يحمل في طياته الجديد، فالشاعر يملك مخيلة واسعة وثرية بالصور الإبداعية، فكل قصيدة هي اكتشاف شعري جديد وظلال للظلال تمتد ملونة في مشهدية شعرية تتألق كأبهى ما يكونه الشعر، مشهدية يتناوب على تشكيلها كل من الانزياح الأسلوبي والرمزية، والهمس الخفي والتشكيل الفني الرحب، حيث يقول في إحدى قصائده :

منذ زمان..
ثمة آخر أغرب مني..
يسكن أرض أناي..
يخرج من جسدي ليراني..
يقبل حتى يصبح أبعد..
يذهب كي أبصره أقرب..
ومر آخر الأسراب فوقنا..
فقال لي:
سيستريح طائر على القرميد كي يشبهني
وقد يجف في انتظاري ها هنا..
وقد يرق حتى الموت.. من تأمل الغياب
لكن.. أتستطيع أن ترى..
في هذه الأسراب ما أرى..
لن يعثر الغزاة في بلادنا..
على مخابىء الهواء في الهضاب.

ومما لا شك فيه أن الإبداع الشعري عند الشاعر (ماهر رجا) هو مكابدة تشكيله، أصبحت الرؤى الفنية و،الجمالية عنده عناصر جوهرية في بناء الصورة الشعرية، كما أننا نعثر على استعمالات لغوية دالة على خصوصية فنية تتمثل في كون الشاعر يجنح في كثير من فقراته الشعرية إلى خلق علاقة تفاعل بين طراوة المعيش وحزن هادىء وأنفاس شعرية يملؤها الشحن فيه نزول إلى الغياب مع رحيل الأحباب، بمعنى أنه خلق لغة جديدة اعتمادا على مفردات المحكي اليومي.

أما الشاعر الفلسطيني صالح هواري فإنّة يكتب قصائد حبلى بآفاق إبداعية تحرك الساكن، وتؤسسه اعتمادا على بحث دؤوب مفتاحه الحلم، وغاية الكشف، فهو شاعر حداثي يشتغل على اللغة باللغة، ولذلك تغدو اللغة لديه هماً دائم الحضور، حيث لامس بحرفية الإبداع ورؤية الشعر الحساسة مكامن الشعر ووجع التجربة، فلم يكن شعره مجرد لغة أو كلمات موضوعة في سطور، بل هي خصوصيات وهموم الوطن والمواطنة، هكذا غمر صالح هواري قصائده بخصال شعرية تثير العقل والوجدان الممزوجين بروحه الثائرة والساخطة على كل شيء من حوله، حيث يقول:

إلى أين أدعوك ؟..
لا بيت لي غير هذه القصائد..
عمرتها في مهب المنافي..
وماذا سأطعم عصفور عينيك
لا قمح عندي سوى هذه الغربة اليابسة
غربة عليها أمد ضفاف ثماري بغير ثمار
وما لي هنا موسم للقطاف
دمي واحة
والأفاعي على الرمل
يأكلن من بلحي..
كوني كما شكلتك فلسطين
زيتونة غير قابلة للجفاف...

الخاتمة:

وخلاصة ما سبق هو أن الإبداع الشعري الراهن كانت لديه خصوصيته الرؤيوية التي

جعلها تؤسس وجودا فنيا مختلفا ومغايرا عن الشعر القديم، بحيث يتجلى هذا التجديد في اتخاذ هذا الإبداع لنفسه قالبا يعبر عن سحر وجماليات التجربة الجديدة، التي شكلت تطورا ايجابيا في الحركة الشعرية العربية، بتكثيفها مفهوم الشعرية وإن لها الفضل في دفع العلمية الإبداعية عبر الانفتاح على الشعر العالمي، وفتح افاق الاستفادة من المنجز الأدبي العالمي، بحيث أصبحت هذه التجربة الشعرية الراهنة تحمل امكانية تعايش كل الأشكال على أساس الإبداع الشعري والموضوعية بعيدا عنه الجمود.

وقد لا يكون اتساع أفق الرؤية الشعرية، وحدة هو الثقل الجديد في الشعر المعاصر، بل يضاف إليه شيء آخر هو وضوح هذه الرؤيا وثوريتها إلى حد ظاهر يبشر باستمرار تصاعدها وتأصلها، كما نرجو أن يتسع حظها الأفقي أيضا في المستقبل ليستوعب المزيد منها.

الهوامش :

1 ـ مجلة عمان الأدبية، العدد 139 كانون الثاني 2007.
2 ـ مجلة عمان، أوت، العدد 146 أوت 2007.
3 ـ مجلة عمان، العدد 148 أكتوبر 2007.
4 ـ مجلة المسار التونسية، أفريل 2007، العدد المزدوج 76/77.
5 ـ الشعرية والتجربة، (إرشيباك ماكيلس) ترجمة سلمى الخضراء، الجيوسي (دار اليقظة العربية)، بيروت 1963.
6 ـ بنية الشعر الجديد (محد عزام) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
7 ـ الشعرية العربية، نور الدين السد (ديوان المطبوعات الجامعية)، الجزائر 1995.
8 ـ نقد الحداثة وموت القارىء (عبد الحميد ابراهيم)، نادي القسم الأدبي.
9 ـ الموقف من الحداثة ومسائل أخرى (عبد الله الغذامي)، جدة 1987.
10 ـ لبل الخطاب الاشعري (محمد مفتاح)، المركز الثقافي العربي.
11 ـ المعجم الأدبي (جبور عبد النور)، دار العلم للملايين بيروت
12 ـ راهن الشعر الجزائري في الميزان النقدي (مطبوعات اتحاد الكتاب الجزائريين) 2005.

مكانة الحديث النبوي عند علماء المسلمين

بقلم : عبد الكريم العطياوي

من الصعوبة بمكان، أن نلم بهذا الموضوع، الذي يتطلب مجلدات واسعة للإلمام به، نظرا لمكانته في الرسالة الإسلامية، لكننا سنقتصر على الإجابة عن هذه الأسئلة المطروحة منا : ما هي مكانة الحديث النبوي عند علماء المسلمين؟. إذا كانت هذه مكانته فما هي حقيقته؟

وعلام يدل اهتمام علماء الصحابة والتابعين بالحديث النبوي؟

وكيف كانت رواية حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم تتلقى وتكتب؟

وماذا نتج عن احتكاك التيارات الثقافية بمادة الحديث النبوي؟

وهل جوبهت هذه التيارات بردود الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؟

وهل اقتصرت المجابهة على هذه التيارات فقط؟ أم تجاوزتها إلى تيارات أخرى؟

كيف وقفت جهود أئمة الحديث النبوي المنصبّة على متن الحديث النبوي من التيّارات الثقافية وقتئذ؟

1 . مكانة الحديث النبوي عند علماء المسلمين :

من المعلوم أن مكانة تعليم الحديث النبوي عند علماء المسلمين، لا تقل أهمية عن تعليم القرآن، لأنه المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولأنه أيضا آت من عند رسول اللّه، الذي يعتبر أسوة حسنة بالنسبة للمسلمين يقتدون به في كل شيء، ويتمسكون بسنّته الشريفة، ويعملون على نشرها بين القبائل بكل إخلاص، لما وجدوا فيها من أحكام سليمة، تتفق وفطرة اللّه التي فطر الناس عليها. قال اللّه تعالى : «**فطرة اللّه التي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق اللّه ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون**».

2 . حقيقة الحديث النبوي :

نرى علماء الحديث قد وقفوا من التعاريف المتعلقة بالحديث النبوي والخبر والأثر والسنة والحديث القدسي مواقف منها :

أ ـ بينهما تقارب وتداخل في المفهوم.

ب ـ بينهما عموم وخصوص إذ أن السنة تتعلق بكل ما أثر عن النبي صلى اللّه عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصفة خلقية وخلقية.

والحديث النبوي ما أضيف إليه عمّا عداه، وقد سمّى صلى اللّه عليه وسلّم قوله حديثا وكاد بهذه التسمية يميّز ما أضيف اليه عمّا عداه كما تقدّم.

والخبر : رواية إخبار هنا وهناك، فلا ضير في تسمية الحديث خبرا، والخبر أثرا، كما جعلوا الأثر مرادفا للخبر والسنة والحديث، . يقال أثرت الحديث بمعنى رويته، ويسمّى المحدّث أثريا نسبة للأثر، كما ينفرد الحديث القدسي بتعريف خاص: إذ هو مواعظ وحكم يحكيها الرسول صلى اللّه عليه وسلّم عن ربه عز وجل، ليست وحيا منزلا فيسموّنها قرآنا، ولا قولا صريحا ينسب إليه فيسمّونها حديثا نبويا.

اهتمام علماء الصحابة والتابعين بالحديث النبوي :

بعد هذا نريد أن نتعرّف على اهتمام علماء الصحابة والتابعين بالحديث النبوي نجد :

أ ـ إنه عليه الصلاة والسلام كان يمتاز بروح طيبة ونفس سامية، وصدر رحب في تعليمه، فكان يزوّد طلبته رجالا ونساء بالمواعظ الحسنة والأحكام الشرعية في كل زمان ومكان، ولن يعرف له مجلس خاص كمجالسنا.

ب ـ إن الصحابة قد عرفوا منزلة السنة، فتمسكوا بها، واحتاطوا في رواية الحديث عنه صلى اللّه عليه وسلّم خشيه الوقوع في الخطأ، وخوفا من ان ينسب إلى السنة المطهرة الكذب والتحريف، ففضلّوا الإقلال من الرواية. قال بن قتيبة : «كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه. . . كما كثير من جلّة الصحابة وأهل الخاصة برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم فأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلّون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمر بن تفيل، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. . . وروي عن أنس أنه قال : «إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا، أن النبي صلى اللّه عليه وسلّم قال : «من تعمّد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار»(2).

لأن للحديث النبوي أهمية كبرى في فهم معاني القرآن الكريم، والكشف عن الأحكام المنطوية في نصوصه العامة وقواعده الكلية، ولولاه لبقي مجهولا خافيا علينا.

إنّ عدد آيات القرآن يبلغ نحو ستة آلاف، ويصل المتعلق منها بالأحكام نحو مائتي آية، أما مجموع أحاديث الأحكام فيقرب نحو أربعة آلاف حديث، وبما أن الحديث يبيّن أحكام القرآن من تفصيل المجمل، وتوضيح المشكل، وتخصيص الاعم وتقييد المطلق، فالقرآن أوجب الطهارة على من أراد الصلاة، والسنة فصلّت ما في القرآن من إجمال، وبيّنت الطهارة بنوعيها : المائية والترابية، والقرآن شرع الصلاة ولكنه لم يبيّن أعدادها، ولا أعداد الركوع، والسجود، ولم يذكر أوقاتها إلا إجمالا، فجاءت السنة وبيّنت كل ذلك قولا وعملا،

فكان النبي صلى اللّه عليه وسلّم يصلي بالنّاس ويقول لهم : «صلوّا كما رأيتموني أصلّي»(3).

بهذه الأهمية الكبرى التي امتاز بها الحديث النبوي الذي نقل الينا بصفة متواترة، كان نتيجة خدمات جليلة، قدّمت إلى الجماهير المسلمة من لدن جمع غفير من المؤمنين الصادقين برسالة محمد صلى اللّه عليه وسلّم. حفظا في الصدور وكتابة في السطور، من عصر الصحابة إلى عهد التدوين والتمحيص والتحقيق من قبل علماء الأمة الإسلامية، لتبطل كلّ ادعاء كاذب، واتهام باطل لأهل السنة الذين تمسكوا بالمنهجية السنية المحمدية، وتصدّوا لكلّ المحاولات الكاذبة، والتحريفات المقصودة المنصبة على حديث محمد صلى اللّه عليه وسلّم، وبيّنوا بالدليل القاطع افتراءات الملل والنحل المتعاقبة على السنة النبوية التي كانت أمانة في يد الجماعة، فحافظوا على صحتها من الكذب والوضع، لأن صاحبها محمدا صلى اللّه عليه وسلّم قال علنا : «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النّار»(4).

لم يهتم الرسول في تعليمه بالرجال فقط، بل خصّص وقتا طويلا للنساء، وقدّم لهن، دروسا خاصة بهن، وأجابهن عن القضايا المطروحة عليه منهن. كما كلّف بعض نسائه ببعض الأجوبة التي يمنعه الحياء، ولم يكن بينه وبين صحابته حاجب كالملوك والقياصرة، بل كان المسجد معهدهم، يعلّم فيه المسلمين الشريعة، وقد يرونه في الطريق فيسألونه، فيبش لهم ويجيبهم، وقد يعترضونه في مناسكه، أو على راحلته يستفتونه فيفتيهم»(5).

فكان البعض من الصحابة يقيم عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يتعلّم أحكام الإسلام وعباداته ثم يعود إلى أهله وقومه يعلّمهم ويفقههم. من هذا ما أخرجه الإمام البخاري عن مالك بن الحورث قال : «أتينا النبي صلى اللّه عليه وسلّم ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمّن تركنا في أهلنا، فأخبرناه وكان رفيقا رحيما، فقال : «ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»(6).

بهذه المنهجيّة المحمدية، تلقّى أول فوج من الصحابة العلم والتشجيع على طلبه، ونشره عند عودتهم إلى ذويهم، ليكونوا تلو الأنبياء مرتبة، قال صلى اللّه عليه وسلّم : «العلماء ورثة الأنبياء»(7).

إن انتشار حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم كان بسبب تلك العوامل المذكورة آنفا إلا وهي : نشاط الرسول في تبليغ الدعوة، وطبيعة الإسلام ونظامه الجديد،

ونشاط أصحاب الرسول واندفاعهم في طلب العلم وحفظه وتبليغه، ودور أمهات المؤمنين في تبليغ الدين ونشر السنة بين نساء المسلمين ، ونشاط رسله وبعوثه وولاته، وموقفه عليه الصلاة والسلام في غزوة الفتح، ودور خطبته في حجةّ الوداع، وما تضمنته من أحكام جديدة، ونشاط الوفود بعف الفتح الأعظم، وحجة الوداع عند رجوعهم إلى أوطانهم. كل هذا يجعلنا نطلق عليه بعمل المعلمين المرسلين إلى الساحة المقابلة للساحة الإسلامية، وفعلهم المؤثر في تغيير العقول من الكفر إلى الإيمان عن اقتناع كامل.

4. كيف كانت رواية حديث النبي صلى الله عليه وسلّم تتلقى وتكتب؟

كما أن كتابة الحديث النبوي كانت تسير إلى جنب لكتابة القرآن، إلا أن الفارق الوحيد بينهما كان يتمثّل في الاهتمام بالمصدر الأول للشريعة الاسلامية على نطاق أفقي، حفظا في الصدور وكتابة في السطور، بينما نرى العكس في تدوين السنّة النبوية، إذ كانت المحاولات فزدية، وعن طريق جماعة وثق بعلمهم، وأذن للبعض منهم من لدن الرسول عليه الصلاة والسلام بكتابة الحديث، كما لاحظنا ذلك في الصحف التي ألفّت في عهد رسول الل ّ صلى اللهّ عليه وسلّم.

بينما نرى أن طرق رواية حديث النبي صلى اللهّ عليه وسلّم لا تكون إلا بهذه الصور المذكورة، والتي تثبت في الآن نفسه تحمّل الحديث وأدائه بأمانة، فيكون الشخص الواحد في الوقت نفسه متحملا ومؤديا، باعتباره شيخا مرة وتلميذا مرة أخرى، كأن يكون أبو بكر متحملا حديثا عن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلّم، فيكون أبو بكر تلميذا والرسول شيخا، فإذا أدّى أبو بكر إلى علي مثلا ما تحمله، صار أبو بكر شيخا مؤديا، وعلي تلميذا متحملا.

كما أن تعليم الحديث النبوي للناشئة الاسلامية، مر ّبأشكال تعليمية من بينها :

1) الكتابة التي أذن بها لارسول عليه الصلاة والسلام عندما خشي على الطلبة النسيان، وأمن عليهم عدم اختلاط نصوص القرآن بالحديث النبوي.

2) الخط الذي ضبط شكلا ونقطا يؤمن معهما الالتباس.

3) الاستقرار بالمدن الذي يعتبر من أهم الوسائل في تلقي الدحيث النبوي من ينابيعه الصافية، ولقد رأينا الكثير من الصحابة والتابعين كيف كانوا يسافرون إلى بعض المدن الإسلامية ويستقرّون بها لحفظ الحديث النبوي.

4) التدوين الذي لولاه لزدرس الكثير من الأحاديث النبوية في الأعصر الآخرة، ولما علم طلبة العلم به، ولما امكننا الردّ على أعداء الدين الذين شنوّا حملة شعواء على

الحديث النبوي.

5) احتكاك التيارات الثقافية بمادة الحديث النبوي، قد جوبهت بردود الايات القرآنية والأحاديث النبوية

هذه الحملة المسعورة. تمثلت في تيارات ثقافية، بما اشتملت عليه من الملل والنحل التي وضعت مدارسها في اغرسلام، قصد تحريف نصوصه لتثبت أنها أحاديث موضوعة لا زساس لها من الصحة، مع أنها أحاديث متواترة تفيد القطع، وتثبت بالدليل القاطع افتراءات هذه التيارات الثقافية المتمثلة في الملل والنحل وبعض المستشرقين المغرضين المدفوعين بدافع عدائي ضد الرسالة الإسلامية، والمنتمين إلى أطروحات ثقافية قديمة، نابعة من لاديانات القديمة المندثرة.

كل ذلك كان بدافع الحقد والكيد لهذا لادين الإسلامي الذي ساس جميع الناس بالقسطاس المستقيم، ووضع قاعدة تلتقي عندها جميع الأجناس المختلفة، ألا وهي التمسك بالكتاب والسنة. قال النبي صلى اللّه عليه وسلّم : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب اللّه والسنة»(8).

6 . المجابهة لم تقتصر على هذه التيارات الثقافية، بل تجاوزتها إلى تيارات أخرى :

إن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدل دلالة واضحة على أن الطلاب كانوا حريصين على احترام حديث الرسول صلى اللّه عليه وسلّم ودراسته وحفظه ومذاكرته وتثبينه في صدورهم والعمل به، باعتباره مصدرا ثانيا من مصادر التشريع الإسلامي.

كما أننال نلاحظ أن الاسرائيليات قد دخلت إلى الثقافة الرسلامية إبّان عهد الصحابة رضي اللّه عنهم بغرض الكيد والتشكيك في لادعوة الإسلامية، إذ ركزت حملتها على الحديث النبوي، وبخاصة على التفسير الذي يعتبر جزءا من السنة النبوية، لكن الصحابة رضي اللّه عنهم كانوا على علم ودراية بهذا التخطيط المبيت عن قصد والذي يحمل بين طياته التحريف والوضع المقصود فتصدوا له بكمل جرأة ورصانة وتعاملوا مع الكتب السماوية السابقة، فأخذوا منها ما هم في حاجة إليه على شرط ألا تتعارض تلك النصوص مع العقيدة والشريعة الإسلامية.

7 . كيف وقفت جهود أيمة الحديث النبوي من التيارات الثقافية وقتئذ ؟

كانت هذه الجهود المرطية من أئمة الحديث النبوي في نقد الأسانيد مستمرة منذ عهد الصحابة رضي اللّه عنهم إلى أن تمّ تدوين الحديث النبوي، ولا زالت تقوم بدورها إلى يوم الناس هذا، والسبب في ذلك يعود إلى التأثر بالمنهجية الإسلامية التي لا تعرف في الحق لومة لائم، ولا تتأثر بالأهواء

والقرابات فهي تتشبث بالجرح والتعديل والنقد لبيان حالة الرواة الصادقين من غيرهم، وكيف لا؟ ونحن نعتقد أن الرواة حملة دين إلى من بعدهم، فعليهم إذن أن يتمسكوا بالاحتياط والنقد الايجابي، ومعرفة الرجال حتى تصل الينا متون الحديث خالصة من كل تحريف ودس من قبل الحاقدين على تراثنا الإسلامي.

الهوامـــــــش:

1-
2- تذكرة الحفاظ: للذهبي 1/15.
3- روح الدين الإسلامي / العفيف عبد الفتاح طبارة ص 46.
4- فتح الباري لابن حجر العسقلاني في 1/210.
5- السنة قبل التدوين / للخطيب محمد عجاج / 34-55.
6- صحيح البخاري: بحاشية السندي 5/4.
7- جامع بيان العلم وفضله / لابن عبد الله 1/76.
8- جامع بيان العلم وفضله / لابن عبد الله 2/180.

القصّة

شهادة تقدير

بقلم : بلقيس الغريبي العدسي

يضع حقيبته الصيرة على الأرض، يمد يده إلى الخزانة الحديدية، يحاول أن يدخل المفتاح في ثقب القفل فيفشل، يتحسس ذؤابة المفتاح بأصابعه ثم يعيد الكرة، ينجح هذه المرة، يدير المفتاح فينفتح القفل، يسحبه من الخزانة، يضعه في جيبه مع المفتاح ثم يفتح باب الخزانة، يحدث الباب صريرا اعتاد عليه أكثر من عشرين سنة، يمد يده إلى الدرج العلوي في الخزانة، يخرج منه «ترموسا» قديما، ينحني، يتحسس مكان الحقيبة برجله، يفتحها بيده اليسرى ويضع «الترموس» بيمناه، يقف، يمد يده مرة أخرى إلى الدرج العلوي في الخزانة، جبد منديلا، يضعه مع «الترموس»، يبحث مرة أخرى في الدرج، يجد كأسا وملعقة وعلبة صغيرة للسكر، يضعها جميعا في الحقيبة، يعاود البحث من جديد بيده في الدرج. لم يبق شيء.

يمد يده رلى العمود الحديدي تحت الدرج حيث كان يعلق ملابسه، يجد برنسا قديما، يلفه جيدا، يضعه في الحقيبة، يمد يده مرة أخرى، لا شيء، العمود فارغ، ينحني إلى أسفل الخزانة يمد يده، ترتطم بجدارها الخلفي، يجيلها فيها، يعثر على قطعة من الصابون. يضعها في الحقيبة، يبحث مرة أخرى، يجد سخانا كهربائيا صغيرا وعلبة ملح، يأخذها واحدة تلو الأخرى، يضغط على البرنس ليوفر مكانا لها في الحقيبة، الخزانة الآن فارغة، الحقيبة الآن ملآنة، الحقيبة الآن جاهزة، يحملها بيسراه ويمد يمناه أمامه، ترتطم بالباب، يسحبه إلى الخلف ويخرج، يتجه قليلا نحو اليمين، يمد كفه ليلامس الحائط، يمشي بمحاذاة الحائط، يعدل إلى اليسار، يتوقف قليلا، يتحسس الهواء البارد، يحاول تحديد اتجاهه، إنها نافذة المكتب المطلة على الشارع والتي تواجه باب المكتب تماما، يحدد وجهة الباب، يسير في اتجاهه، يصل، يدلف إلى الداخل.

مكتب على يمين الباب والثاني أمامه مباشرة، يحاول أن يمر بين المكتبين، بدا المكان ضيقا، يكلمه الرجل الجالس على المكتب الذي على يمين الباب، لكنه لا يجيبه، تعلق بالحقيبة بين المكتبين، فيسحبها بقوة محاولا تخليصها، ينجح، ينحني ليفتح درج المكتب فيرتطم رأسه بشباك النافذة، يغلق الشباك بعنف مطلقا شتيمة، يحاول الانحناء ويفتح الدرج،

يتحسس فيه بعض الأوراق، يأخذها، يضعها في الجيب الخارجي للحقيبة، يتأكد من عدم وجود شيء آخر بالدرج ثم يرفع حقيبته إلى أعلى حتى لا تعلق بين المكتبين، ويخرج من نفس المكان الضيق.
يتحسس الجدار الأيمن للغرفة الصغيرة، يرفع يده إلى أعلى، يعثر على عصاه البيضاء المعلقة، يأخذها بكلتا يديه، يسحبها من الجهتين ثم يطويها على أربع قطع صغيرة ويضعها في الجيب الخارجي للحقيبة، سمع صوت خطوات بالممر، إنها إبنته الصغرى، لقد تعلم أن يميز خطوات أبنائه وأصواتهم منذ صاروا يدبون على الأرض، وصلت إلى غرفة المكتب، ألقت التحية، رد الرجل الجالس وراء المكتب، إنها هي، لم يحدث أن أخطأ قط، تقدمت منه، لمست يده، اشتم رائحة عطرها : «هل جمعت أغراضك؟» تسأل، لم يجبها ولكنها دفعها بيده ففهمت أنه يرغب في الخروج، ألقت التحية مرة أخرى وسحبته من يده إلى الخارج، توقف قليلا، عدلت من ياقة قميصه، سوت له حزامه الجلدي، نزعت عنه نظاراته السوداء، أخرجت منديلا من حقيبة يدها، مسحت به النظارات ثم ألبسته إياها من جديد، سحبته من يده وهي تفتعل المزاح : «تبدو أنيقا».
سارا في الممر الطويل، ثم انعطفت به رلى اليسار، دلفا من باب كبير، إلى قاعة فسيحة، رجال ونساء واقفون، طاولتنا في الوسط، واحدة كبيرة رصفت فوقها زجاجات المشروب وأطباق المرطبات وأخرى صغيرة وضعت فوقها هدايا مغلفة بعدة أغلفة لماعة.
يدخل رجال، يلقون التحية، يمد يده للتسليم، تتلقفها الأيدي، أيد كثيرة صافحته، بعضها كان أصحابها يذكرون أسماءهم عند المصافحة، البعض الآخر يسلم صامتا ويمضي، يتقدم رجل، يبدأ الرجل في إلقاء كلمة يحيي فيها الأعوان المتقاعدين، يشعر أن تحيته كالتأبين، ينصرف عنها بمحاولة تمييز أصوات زملائه في المستشفى، فجأة ينادي على اسمه لتسلم شهادة التقدير وهدية نهاية الخدمة، يرتبك، تأخذه ربته من يده إلى سيدة واقفة في انتظاره، تتعثر قدماه، يقف، يمد يده لتسلم الشهادة، ينتظر قليلا حتى تؤخذ لهما صورة، تشكره السيدة التي سلمته الشهادة، يصمت قليلا، يحاول أن يتذكر ما أعده لهذه المناسبة من كلمات، تخونه العبارة، يشعر بثقل في لسانه، يبتسم في ارتباك، تحاول إبنته أن تنقذه من الموقف فتحتضنه طالبة أن تأخذ معه صورة، يحتضنها، يخرج قليلا من ارتباكه، تأخذ إبنته الصندوق المغلف تعطيه لوالدها، يأخذه، تسحب والدها من ذراعه، تسأله إن كان يرغب في مشروب بارد، يرفض، تعرض

عليه قطعة مرطبات، يرفض، تفهم أنه يرغب في الخروج، تحتضن ذراعه ويغادران القاعة، ثم البهو، ثم البوابة الخارجية، يغادران المستشفى نهائيا.

تحاول في طريق العودة أن تشغله بالتساؤل عن محتوى الصندوق، تفشل.

يصلان إلى البيت، البيت الذي اكتراه خصيصا لقربه من المستشفى، لم يعد مفيدا، لا حاجة له الآن ببيت قريب من المستشفى، الباب موارب، يدفعان الباب، يدخل، تدخل وراءه، تستقبله زوجته : «إن شاء اللّه بطول العمر»، لا يرد، تخرج ابنته من الغرفة : «معك هدية، ماذا أعطوك؟». يعطيها الصندوق، تمزق الغلاف الخارجي تفتحه، كانت به ساعة حائطية، تعطيها إياه، يتفحصها بكلتا يديه، يتلمس نتوءاتها، يتساءل : «أليست خشبا؟»، «ليست خشبا، تجيب الصغرى. يحملها بيده ويتجه نحو الجدار المقابل للباب، يطلب كرسيا، يعتلي الكرسي، يضع الساعة على حافة الكرسي، يطلب مسمارا ومطرقة، يدق المسمار، يصيب إصبعه، كظم ألمه، يأخذ الساعة، يضع يدا على المسمار وباليد الأخرى يحاول أن يجعل ثقب الساعة مقابلا للمسمار، يعلقها أو هكذا يظن، يسأل : «تبدو مناسبة؟» وقبل أن ينهي سؤاله تسقط الساعة على الأرض، تهشم، تخرج زوجته من المطبخ مسرعة، تخبط يدها على فخذها، تشهق إبنته الصغرى، ينزل هو من فوق الكرسي مرتبكا، يجلس عليه.

ينفجر باكيا.

القيروان
2009
عاصمة الثقافة الاسلامية

المقاعد الخلفية

قصّة بقلم : الصادق الفريوي

شعرت، وقد مضى على تقاعدك عن العمل وقت طويل بانشراح مفاجىء يحتضنك فيضمك إلى صدره وأنت تتلقى دعوة لحضور حفل مدرسي. فالأعوام تمضي يلتهمها الزمن ولا تحسّ بها، بل لم تعد تهتمّ بعام دراسيّ انطلق أو انقضى. فلا الأحداث، ولا تواترها، ولا حتّى تواريخها ما زالت تنبض في كيانك، أو تستأثر باهتمامك. حتى ساعتك التي تزيّن معصمك، عزفت عن النظر فيها، سواء دارت عقاربها أم توقفت، ولو لم تكن هديّة قدمها لك ابنك أسامة، لألقيت بها مع الأثاث القديم. فالأوقات بالنسبة إليك كلها تتشابه، وهي تمرّ رتيبة مملّة.

وأنت تقرأ تلك الدعوة، تهللت أساريرك وانبسطت، فانفرجت شفتاك عن ابتسامة عريضة، فأنت ما زالت لك مكانة في القلوب، وحيّز في الذاكرة، وأنت الذي كنت تحسب أن صفحتك انطوت، وأنّ النسيان لفّك بردائه المتعسّف، فتركت الماضي وراء ظهرك مكرها، لكنّ الدعوة أثارتك، استفزّت مشاعرك، هزّت أحاسيسك، فإذا روائح الماضي تستفيق في نفسك، ونسمات السنوات الخالية تدغدغ روحك فتحيي فيك ذكريات ما يربو على أربعين حفلا مدرسياً، أشرفت على معظمها فاعلا، وحضرت بعضها الآخر مدعواً.

تردّدت في البداية، ثمّ فكرت، فتحمسّت، ووطّنت عزمك على تلبية الدعوة. فقد تذكّرت أنّ زوجتك ما زالت تحتفظ لك بكسوة، كنت اقتنيتها، لمّا أعلنت بعض المغازات عن تخفيضات ذات بال، في أسعار معروضاتها من الملابس. فاغتنمت تلك الفرصة وابتعت واحدة، ارتديتها مرّتين، كانت الأولى عندما احتفلتم بخطوبة ابنتك البكر، وكانت الثانية لمّا زفّت إلى عريسها ذات صيف. وودت وقد عزمت على حضور هذا الحفل، أن تشتري بدلة جديدة، ترفل فيها يومها، لكنّك نكصت، فزفرت، وتأفّفت ثم تنهّدت، واقتنعت في الأخير أن بدلتك تلك تحفظ ماء الوجه، والرجل ليس مظهرها بقدر ما هو عقل وموقف.

كان الوقت عصرا، لما ارتديت بدلتك، وقد كوتها زوجتك بعناية، ووضعت رباط عنق تجاوزته الأحداث، قديما قدم محراث

خشبي كان جدك يفلح به الأرض، فلم يعد له الآن أي أثر، بات تراثا، قد يعثر عليه في المتحف ولمعت حذاءك المتشوق دوما إلى صقل، فلانت خيوطه وانتعشت، فأثارت فيك شجونا. ذكريات أيام كنت خلالها تتسمر أمام الواجهات البلورية، وقد غازلت عينيك أحذية مختلفة الأشكال، متنوعة الألوان والإتقان. فلا تتزحزح من مكانك إلا وقد ابتعت واحدا منها نال اعجابك، وإن كان ثمنه باهضا.

بارحت منزلك فتلقفك شارع عمر بن عبد العزيز، سرت على يمينك، ليس احتراما لقانون سير المترجلين، وانما تحاشيا لماء آسن ينساب بالليل كما بالنهار، وتجنبا للصخور الحادة، وقد عرت نتوءاتها السيول المنحدرة، فنزف بسببها قلب الطريق. تشاهدها كل يوم عيون الساهرين على البلدية، فتتجاهلها، تاركة إياها لأشعة الشمس تلفحها بلهيبها إهمالا، فتظل تؤلم الأقدام الحافية، وتثقب الأحذية المهترئة، فتزيد في تعميق جراح الأهالي، ومن معاناتهم كانت عراقة ذلك الشارع، أكبر عمرا من البلدية ذاتها.

سرت شارد الذهن، تائه الفكر، كما تشرد وتتوه شوارع وأنهج المدينة أمامك، وأنت تواصل خطوك على مهل، صادفت عمال البلدية عائدين، على أكتافهم رفوش ومعاول بينما انفرد أحدهم بنقالة قد يمة، يدفعها أمامه متبرما، وهي لا تنفك تئن، فيسمع لعجلتها صرير موحش تشمئز له الأسماع، وتتقزز منه الآذان، فتتوتر الأعصاب وتتشنج. تراكمت في حوض تلك النقالة قوارير فارغة، وهي تمد أعماقها هازئة، ساخرة، كأنما هي تحتج على من أزعجها في مراقدها، وعلى نقلها إلى الوادي قسرا وتعسفا. فأدركت للتو أنهم فرغوا من القيام بحملة نظافة طارئة، استعجالية. ثم رأيت المجرفة تغادر الشارع وقد جرفت الحجارة، والأتربة، والأعشاب اليابسة المعششة على جنبات أرصفة عشوائية تباين ارتفاعها، فنعم ذلك الممر باستحمام لم ينتظره، بل لم يخطر على باله أصلا، فانتعش مستعدا لاستقبال المارين القاصدين إلى حيث يقام الحفل المدرسي، تماديت في السير وعيناك تنظران يمنة ويسرة، كما لو كنت غريبا، وأنت في مدينتك. كنت تبحث بناظريك علك تلحظ انجازا حديثا يفرحك، فيسري عنك، فكنت لا تقبض إلا على السراب، ولا تمسك إلا بالكعكعة. . و«الكعكعة» تستفزك، تتدحرج وتنط أمامك متهكمة، هازئة، كأنما تود أن تغيظك، تلك «الكعكعة» الملعونة، الدائرية الشكل مع استطالة طفيفة عمودية، أنت تكرهها، تمقت الفراغ الذي يتوسطها. دائرة جوفاء كما الصفر. بل الصفر ذاته. والصفر لا شيء ولا شيء في الشارع، ولا في النهج، ولا في كل الأمكنة بالمدينة : «كعك»، أصفار، أصفار، «كعك» تصبحون

وتمسون عليها، حياة رتيبة، مملّة، مقرفة حتّى . فالأعوام تمضي يلفّها الزّمن، فيلتهمها كالوحش الكاسر يدق عظام فريسته بعد ترويضها، ما عدا تلك اللافتات، ما أجملها، تلوح شامخة، في اعتزاز وأنفة، يداعبها الهواء، فتنتشي طربا، ثم تنبري أطرافها في الرقص على نغمات آلات موسيقية، الدفّ والمزمار والبندير. لافتات زاهية الوانها، معبّرة محتوياتها، رائقة خطوطها، براقة، رنّانة شعاراتها، تمجّد العلم والعلماء، تعترف بجميل المربين الأبطال، أبطال على الدوام. فالطفولة الجميلة، الحالمة، البريئة أمانة في أعناقهم. والرسالة التربوية النبيلة نبراسهم. اللافتات وافرة العدد، ثبّتت في إحكام وذوق على جدران واجهة ناصعة البياض، انعكست عليها أشعّة الشمس وهي تنحدر نحو الغروب على مهل، بينما الحيطان الخلفيّة مهملة، بلا صيانة، بلا تعهّد، يعلوها اصفرار مزمن، رسمت خطوطه مياه الأمطار، كما الوجه المتغضّن بعذابات السّنين. فبدت حزينة كئيبة كاسفة، تلعن حظها فازداد وجعها وهي تعلم أنّها لن تشترك في الاحتفال.

المكان فسيح، رحب، يعجّ بخلق الله، يعجّ بالحركة، في تلك الساحة تمرّ الأقدام الناعمة، فيأخذ أصحابها الأطفال أماكنهم على مقاعد، قبالة طاولة كبيرة، فوقها جوائز وهدايا. جلست، وقد اتخذت مكانا بعيدا، ومضيت تنقل الطرف، متابعا ما يجري. فبعض ما شاهدت في غاية الطرافة والغرابة. مناضد نظيفة، جديدة تتوسّط السّاحة، وأخرى تقشّرت سطوحها، فغاب بريقها وزالت نظارتها، وبانت خربشتها، عبثت بها أقلام ومسامير، رسمت عليها صور لقلوب نازفة، أدماها هيام الطّيش، وغرام المراهقة، وكتابة لمعادلات رياضية، وقواعد في اللوم استخدمها أصحابها في الغشّ أثناء الاختبارات ـ فألقيت تلك المناضد ـ بلا ذنب في الأماكن الخلفية. أماكن لا تطالها كلّ العيون، طاولة ضخمة، فخمة، وراءها كرسيّ وثير، شامخ، تقلّصت على جانبيه كراسي أخرى، وان اصطفّت في نظام، وانتصبت بعيدا عنها مقاعد خشبية، صلبة وعلى تلك الطاولة مدّ سماط نظيف مزركش، فوقه قوارير ماء معدنيّ محكمة السّدّ. قوارير ما زالت بكرا، انبرت تغمز قوارير أخرى وضعت في إهمال قرب جدار غير بعيد عن المقاعد الخلفية، تحوي ماء الحنفيّة.

نساء ملتحفات، ونساء سافرات الوجوه، لا يتوقفن عن الهمس، تتعالى من ناحيتهن بين فينة وأخرى الزغاريد فتتعانق، وهي تشقّ الفضاء... عيون شاردة، وعيون زائغة، وعيون يقظة لا تفوتها شاردة ولا واردة.

كان المدير وبعض معاونيه واقفين، يتحدثون، يتشاورون، وأبصارهم متجهة

نحو الباب، حيث تسمّر عامل على كرسيّ، فظل بدوره يرقب باب السور، فلا يغفل عنه. كان يلتفت من حين إلى آخر إلى المدير، ويحرك سبابته بسرعة يمينا وشمالا، أدركت أنه يقصد «لا جديد». وما هي الا لحظات حتى قفز ذلك العامل كأنّما أحسّ بوخزة مسمار حادّ، ثمّ رفع يده. فهرع المدير ومعاونوه والتحق بهم بعض الضيوف. اتجه الجميع نحو الباب، حيث توقفت سيّارة سوداء اللون، ترجّل منها رجل مهيب، يرفل في بدلة صيفيّة تبنيّة اللون، وضع على عينيه نظارتين سوداوين، بينما طفقت سبابته تعبث بحافظة المفاتيح، وتمسك يده الأخرى بهاتفه المحمول، وظل لا يكفّ عن النظر في ساعته كأنما هو يدقق حساب وقت مبدل في مباراة كرة قدم.

استقبلوه بحفاوة بالغة. صافحوه فردا فردا، ثم أفضوا له الطريق، فتقدمهم، وساروا خلفه وحواليه إلى أن بلغ الطاولة الفخمة جلس. وقد ساد الساحة صمت وسكون، اشرأبت معظم الأعناق في المقاعد الخلفية، تدافع المرافقون، ودوّت الساحة بالتصفيق، وعلت الزغاريد، فامتزجت بالضرب على البندير والنقر على الدفّ في إيقاع موسيقي عذب يرافق الأطفال وهم يترنمون بأنشودة وطنية، فانفرجت الشفاه عن ابتسامات عريضة. عيون كثيرة مصوبّة نظراتها نحو الضيف، وقد طفق يحرك رأسه إلى الأمام وإلى الخلف، ثم جاد كفاّه بتصفيق كأنما هو الهمس.

تقدّم المدير نحو طاولة صغيرة، فهبّ إليه أحد مساعديه، أدخل تعديلا على المصدح، ليتوازى ارتفاعه مع فم المتكلّم.

شرب المدير قليلا من الماء، تنحنح، نظر يمينا وشمالا، نظر إلى الضيف، ولما همّ بالكلام، أسرع معاونه إلى الضيف، فانحنى عليه منصتا، ثمّ تراجع إلى الخلف مواليا وجهه إلى الضيف، وظهره إلى المدير. فجأة تعثّر. وقع على الأرض فتعالت ضحكات سرعان ما كتمت أنفاسها بينما اختنقت أخرى في الحلوق. ابتسم الساقط على الأرض، نهض وهو ينفض الغبار عن سرواله.

كان المدير يتابع ذلك المشهد، فأدار رأسه يحاول أن يخفي ابتسامته ليحافظ على هيبته ووقاره أمام التلاميذ، ثم ألقى كلمة الافتتاح، فرحّب بالحاضرين وأبرز قيمة يوم العلم، ثم قدّم إحصائيات ونسب النجاح والإخفاق، وختم كلمته مادحا، شاكرا، فكان للضيّف النصيب الأوفر. وقام الضيف من كرسيّه، وألقى كلمته فشكر كلّ الحاضرين على حضورهم، وأثنى على المتفوقين، وحث المتقاعسين على مزيد البذل والعطاء والاجتهاد، والأولياء على مراقبة منظوريهم، ثمّ أثنى طويلا على المدير والمعاونين والعملة، ثم مجّد المربيّن وعاد إلى مكانه في ضجّة من

الهتاف والتصفيق. وتمّ توزيع الجوائز على المتفوقين. هذه جائزة منفوخة، وتلك جائزة منفشّة. هذه جائزة سمينة، وتلك جائزة نحيلة.. هؤلاء تلاميذ مكرّمون يبتسمون، في عيونهم فرحة، وأولئك مكرّمون أيضا، لكنهم لا يبتسمون، ينظرون إلى الجوائز المنفوخة، وإلى الجوائز السمينة، وفرحتهم غائبة، في عيونهم انطفأت حيرة، واختفى استغراب، وعبرات اختنقت في الحلوق...

ها هنّ العاملات في ميدعاتهنّ الزرقاء، يقبلن في أيديهنّ أطباق رصّفت عليها صحون البقلاوة، وأطباق الحلويات وعلب العصير، بينما انبرت إحداهنّ توزّع المناديل الورقية على الجالسين أمام الطاولة الفخمة. ظلّ الجالسون في الأماكن الأخرى يتفحصون بعيونهم الأصناف الشهيّة التي ازدانت بها تلك الطاولة.

شرع الجالسون أمام الطاولة الحافلة بصنوف الحلويات الشهيّة يأكلون، ثمّ يشربون عصيرا مثلّجا في أكواب بلورية، بينما ظلّ الباقون ينظرون ويحملقون ويترقبون في طمع. أقبل عامل يحمل بين يديه صندوقا من الكرضونة متوسّط الحجم، أسند أعلاه إلى كتفه كتاجر متجوّل يبيع حبوب عبّاد الشمس، وطفق يمرّ بين الجالسين المترقبين، الذين أخذوا أماكنهم في المقاعد الخلفية. تدافعت الأيدي إلى ذلك الصندوق، تسحب منه قطعا صغيرة من البسكويت رخيص الثمن، ولما بلغ مكانك، توقف أمامك. نظرت إلى الصندوق وإليه. أطرقت، والرجل واقف. حككت رأسك وذقنك، وتنهدت عميقا والرجل ماثل أمامك ينتظر، عدت تنظر إلى صندوقه، ثمّ أحسست فجأة بكرسيك يهوي من تحتك.. غام بصرك، وضاقت نفسك... إلاّ أنّ ربّك كان بك أرحم. أفقت من ذهولك فانتفضت في مكانك وقلت له: «أهذا هو نصيب الجالسين في المقاعد الخلفية؟ بسكويت بخس ثمنه، واحدته بعشرة مليمات!!!؟

أحسّ العامل بالخجل والحرج. غصّ بريقه وهو يهمّ بالانصراف، لكنّه عدل احتراما، وانحنى عليك هامسا: «أوزّع ما أعطونيه، أنا عامل مأمور، لا حول لي ولا قوة».

نهضت من مكانك بعد لأي. ما كنت تظن أنّك واجد في نفسك القدرة على النهوض. لمحك المدير، فأقبل عليك مبتسما، وهو يلحّ أن ترافقه إلى حيث يجلس الضيوف، ثمّ أعلمك بأنّ الحفل ما زال مستمرا، وخاتمته ألعاب فروسيّة.

اعتذرت للمدير بلطف، وقد شكرته على لطف دعوته ثمّ أعلمته، أنّ مسك ختام حضورك كان منذ دقائق، وأنّك منشغل بالذهاب إلى الطبيب لتستبدل لسانك ومعدتك، حتى يكون لك لسان يحسن تذوّق الحلويات الرفيعة، ومعدة تقدر على هضمها. فأحمرّ وجه الرّجل خجلا، وقرع

جبينه بكفّه، وظلّ واجما، ثم رفع رأسه وقال لك معتذرا: «لم أنتبه إلى حضورك، كنت منشغلا، وإلا ما كنت تركتك تجلس بعيدا» فالتفتّ إلى المقاعد الخلفية ورحت تمعن فيها نظرك، ثم استدرت، وحدجته بنظرات أدرك الضيف ومن معه كنهها، هممت أن تتكلم، لكنّك عدلت، فقد فضلّت أن تصمت ثم انصرفت. وأنت تغادر السّاحة كان الصداّع يضطرب في دماغك، كنت تقول سراً، ثم جهرا، وكثيرون يسمعونك: «تبّاً لطينة بشريّة عقوق، ما زال يلفّها العناد والتحجّر، إنّها ترفض أن تترقّى، بل إنّها تأبى أن تتغيّــر.

فلما كان اليوم الموالي صدر في الجريدة مقال عنوانه: «المقاعد الخلفيّــة».

تــونـس 2010

السنة الدوليّة للشبـاب

الكفّ السّفلى

قصة بقلم : بسمة الشوالي

تهالكت الأقدام تدكّ صمت الرّخام الحزين والمعزّون، على أوجع من الفاجعة، يتبعثرون وقوفا جهما في انتظار أن يخرج صاحب الدار، كان أدخل غرفة مخلاة من أثاثها الترّف يغتسل من ثراء الحياة ويلبس بياض الرّحيل المتداول.

كان ممشى الحديقة المنزلية ممرّاً طويلا يشبكه الشجر وأفياح الزهور، يفرشه الخريف أوراقا صفراء تهسهس تحت الأقدام وتتهشّم من جفاف وذبول موقّعة همل مدامع الحزانى والحزينات.

لهث عبد الكريم يسند عماه إلى كتفها بيد ويمسك بالأخرى مقبضا معقّفا لقضيب معدنيّ صدىء يلزم سيره أنّى حلّ. يخربش به الأرض يمنة ويسرة فيقرأ مهاوي الطريق التي يسلك، أو يلوّح به الفضاء الكفيف فيزجر مشاغبيه من المارّة.

تمثّلت رفيقة عودا أخفج ناحلا، يكسره ثقل الحمل عند أعلى العجيزة، وتغمره فضفضة فستان طويل تهدّلت حواشيه السفّلى خرقا متّسخة/ كانت تجرّ نفسها إلى جانبه مثقل ظهرها بما تحتقب، وتقبض بكلتا يديها على طرف كيس الخيش البنيّ يمتلىء حتّى بطنه صدقات منتبهة لسيره الأهوج أن يعثر فيزلق ويقع.

أوفض الممشى بنواح الحديقة إلى ناصية الشارع الأنيق فأخذت أجزال الرهبة تتلاشى وتمتزج بالأغاني الصاخبة تقدم من جوانبه، فتنسحب طريق مهدّت للرّوح الصاغرة على عتبة الفناء معابر النّدم نحو الآخرة لتفسح في النّفوس لأنغام الحياة ترقّص الغرائز في بطحاء العشق على أحرف الغزل اللاهّبة.

أغرت الألحان المتضاربة رفيقة أن تتدارك رمق الوهيج الباقي على تقاسيمها المذواة تأخذ بالخبو يوما فآخر. تخلّل فرح اعتزال التسوّل ملامح وجهها وأومض على زغب الشيّب يتسلّل من تحت الورود الكبيرة تتفتّح على البياض المعتكر من غطاء الرأس. لم يكن التسوّل مهنة سهلة، كان الأقلّ وهما من حرفة البغاء المحترف تغدق عليها الحبّ والشبّع ثم تركنها العتمةَ مع شروق التجاعيد على وجهها...

«بل لم يكن لي وجه جميل يقدر أن يخوض غمار المنافسة، وقامتي ضامرة ذاوية المفاتن لا تغري أحدا. صارت على كلّ الأرصفة تعرض نفسها على كلّ عابر..

الجوع مملكة للشرّك تغدو فيها حفنة القوت البسيطة ربّما ذا بأس والعمر نُذُر تحترق...

لا بأس بالأمر لو أتكأت همزة الأربعين الأوداء إلى هذا الجدار العظميّ يا رفيقة.
عبد الكريم رجل اعتدت على عرقه النتن وعماه المقذع، واعتاد على قذاء لسانك ومسند يده من كتفك الأعجف.
«أنت أنثى معدّة سلفا للحذف من قوائم الفرز عند الذكور إلاّ من زاملك في وضاعة الحياة، وحده هذا يقبل أن يختصرك في حاجة واحدة ينالها تحت سقف الظلمة العطنة وتختصرينه..»
سُرّت، طفر من الخيال صبيّ ينبش شعرها ويبصق على وجهها متهجيّا كلاما قبيحا فنهرته معجبة بلسانه الطليق فخورا بطفل الشرّ في عينيه...
«شرس الطبّاع هذا الولد، فصيح البذاءة كأبيه..»
تدانت إليه يلامس جنبها كيس الجلد الأجرب المدلّى على جانبه. اغتبطت خواطرها الماكرة.. سيكون لها أن تندسّ تحت أخلاق ثوبه وتلاعب بشره الظامىء يسقط في عين نمير فرُش الأوراق المالية الكثيرة يخفيها بين ثوبه ولحمه الوسخ...
ابتهج عبد الكريم لعرقها المعتّق يهفهف لزق أنفه. انغرزت أصابعه اليابسة في حفرة الكتف، وعبرت رأسه ذكريات خليعة الصوّر مجنت به قبل أن تنفقىء عيناه في إحدى الخصومات الضوّاري. خشع لاتساع الخيال الثّمل رأسه، وأماله إلى الأعلى قليلا كأنّ بروقا مثيرة الومضات ترمح في سمائه الدكّناء.. قرقرت ذاكرة الخيال بالجعةّ في قواريرها وتشظّت زجاجاتها على جنوب الجدران المهترئة. رفّ جفناه المنطفئان بسرعة منفعلة. أحكم الضغط على الترّقوة من كتفها وهاجت حركة العصا الحديدية في يده الثانية تجلُد الأرض والسماء بلا هوادة فوكزها بعقبه الحادّ فاستطارت سبابا، ونهرته لاذعة اللسان، وهددت أن تتركه منفردا يتلمّس العودة في طريق دهماء. انتهر يضن لها أعذارا من عبارات فاحشة وحنكاه يطقطقان ويتلمظّان من شهوات استنفرت فيه، ثمّ انفجر سرورا أخرق أغاظ من لمح فلجة فمه الأدقم تتّسع للضحك وتنثر طشيش اللعّاب النتن في حين كانت القلوب من حوله دامعة.
انقشعت سورة الخريف. خلعت السماء سواد الغضب توقد قائلة وهجة وتسيّح أشعة الشمس جداول باهرة الصفّرة تلفح خدود الجلنّار الفائرة، وتنضج فتيان السفّرجل.
ابتلعت المدينة فيضها وغلقّت مواسيرها وخرجت من عاصفة الأمس الحرون مجلاةّ واجهات خالية وطرقا نظيفة مزدانة.
ارتكزت رفيقة إلى قضيب المعدن الطويل ترفع ظهرها عن الجدار الخرب وقامت عسرا ترتاد الشوارع وتشحذ كفوفها المتعالية.
سارت متثاقلة، فاترة الفؤاد، تشقّ زحاما

يرشق سيرها الرثّ هزءا وزراية. كانت تجرّ خلفها عصا عبد الكريم الحديدية وترفل في رونق زفاف تعقّر بياضه: ثوبا تتأرجح منه أسلاك الفضة المنتوفة وتتساقط حبّات العقيق، فستانا قديما جادت به إحدى ربّات البيوت بعد أن تخمَت ضحكا من نوايا متسولة خبيثة تطمح هي أيضا إلى أن تتزوّج فتستتر ببيت من الأسرار الحميمة مثل كلّ النّساء...

ـ لكن البيت متهدّم الجوانب مخلّع المزلاج، بسقف يخرّ مطرا وقرّا وحرّا يا رفيقة...

ـ وأدهى يا سيدّتي.. ولكنه يظلّ متاعا شخصيا، أشرك فيه رجلا وعين اللّه مرضيّة.. له الرجعى في نهاية الأمر.

ـ الزواج أكبر من حجمك يا مسكينة. اقتعي بنصيبك من الحياة. هذا قدر مسطور على جبينك.

ـ لكنّ الولادة بحجمي وسطرا من جبيني. أحبّ أن أنجب كسائر إناث الأرض فأترك لي خلفا يحتلّ ركني الحقير في حي السؤال.. يحتاج الرصيف روّادا جددا.. عينا بيضاء تنزّ شفقة، كفّا عاهرة تعترض الفوارع والنواصي، ساقا مبتورة ترمي بصاحبها على أرصفة الشحاذة.. نسلٌ موهوب يتقن فنّ التسوّل عن وراثة وعراقة.. وعراقة تحن أولى بتعمير الشوارع يا سيدّتي، هبيني فقط فستانا للزفاف ودعي بقيّة أمري للقدر. أهفو لفرحة العمر ورائحة الحنّاء..

افترت للذكرى شفتان تخضبتا بصفرة السواك الباهتة. ارتسمت بسمة غبيّة ختمت بوصمة الخبل على وجه سربله شعر أشهب لبّدته المياه المتربة المجففة عليه. لزبت في رأسها تفاصيل الأمس واعتكرت. فرقع صوت زوجها المرتاع من جنوبها الطاوية. صوّت الجوع في أمعائها. التصق الفستان بلحمها وضاق عليها لشدّة الحرّ. تضايقت. انزعجت. حنقت. وقفت قلب مفترق الطرق المكتظّ. تلعثم نظام السّير وانهالت عليها الشتائم سياطا نابية. لم تعبأ واتّسع العته في ابتساماتها. أبرق الوجوم على المعبّد يرجّع أوه مطاريد ماء السماء في مسدينة حسناء، صحت مفجرة تؤنّب المطر الهطف وتلعن الغدر.. أحدما اقترف فعل الخيانة حين اعتزمت هي الوفاء لسنّة الحياة والاكتفاء برجل واحد في حياتها تشكّ أن يفي بوعوده فينفق لأجلها ورقة نقدية واحدة ممّا يدخر.. لعلّها الفصول يجور بعضها على بعض.. لعلّها المدينة عمدت تردف أحياءها الفقيرة على ظهرها المقعرّ، فكلما تفجرت بطون السحب تحدّرت الأزقة والدروب الجرباء بأهلها أسفل النائمين رغدا..

اهتزت رفيقة ضحكا يرجّ جسمها الناضي فتأوّدت له تحني ظهرها فيكنّس طرف

الفستان ما أهملته مكانس البلدية من آثار العاصفة، وترفعه فتطيش عصا الحديد حركة عشواء تشرع الصدّأ المندّى في العيون الحانقة.. جلب الاحتفال لأذنيها صوت دفّ يجعجع فينزف صبرها..

ـ أغرق عبد الكريم فعلا في جوف الماسور..؟ من قال.. من شهد..؟

ـ أنا رأيته بأمّ عيني يهوي فيه ويسكب عليه الماء وفيض التّراب والأوساخ..

ـ أنت سفيهة محتالة وبلا وثائق للهويّة.

ـ نعم، ولا أساوي في حضرة العدالة عشر شاهدة نسأء لا أخت لها. ولكن هذا لا ينفي أنّه غرق في الماسور حين كنّا نحتفل بزواجنا. انظروا.. لا تحطّ يده على كتفي كعادته.. أنا لم أهجره.. هل أهجر رجلا يتزوجني..؟

ـ من حرّض الخريف أن ينقلب علينا البارحة تحديدا..؟

ـ لا أحد. أظنّ أنّ فرحكم تحرّش بحفيظة الأحياء الهانئة فأخلصوا في الدّعاء عليكم فاستجابت السّماء طوفانا من السّخط.. لقد تباريتم في المنكرات وتفقهتم في الفواحش بلا حسبان...

ـ صحيح. لقد غالينا كعادة المحرومين إذا سنحت لهم فرصة للشبع.. أما كنّا نستأهل أن نمهل فصولا اضافية أو ليلة أخرى على الأقل..؟ هذه المدينة تفحش بالسرّ والخفاء، لمَ لا تؤخذ بالغضب؟ وعبد الكريم.. من هو..؟ مجرّد أعمى قبيح وضيع وسخ يكنز مالا جمّاً لا يصرف منه مقدار مليم يتيم.. من أين له أن يأتي حسنة واحدة يؤجر عليها.. وأنــا..؟ لم أوهب من الحياة ولو اسما أنادى به يوم الحساب.

دعيت «رفيقة» تيمناً برفقة القطط اللقّيطة.. كنّا سنأتي الفعل الحلال الوحيد في حياتنا... لكن...

ضرمت آلامها وانفلت فيها عقل الغيظ من قبضة النقّمة إلى فورة الجنون.. كفّت عن محادثة نفسها. اكفهرّت قسماتها. نشطت ضحكا وغناء ترقص في حلبة الفضاء الممتدّ على إشارات الضوء المتلونة. طربت حقدا تناكف عابثة نزق المارة تقيء السهم ما تحت فخامة الأثواب من فحش الكلام ورداءة الطّوايا..

كانت تحتفل مفردة بزفافها الملغى وتشهره ملء الزحمة الحانقة..

أمس الجميل، أبكرت تعدّ نفسها لليلة شريفة تغزل فيها الشارع الانتهازي والبغاء الرخيص. أفحمت رأسها سوادا يغلّف أسياخ الشيّب. استحمّت. اكتحلت. لبست فستان العرس وبعض المصوغ الفضيّ تصدقّت به عجوز من الحي المجاور. تساءلت في صمت :

ـ أمن العدل حقّا أن يكون للأجياد منزلة صاحبتهن..؟

بلى يا رفيقة، مثلما للحفا أقدامه المقدّرة..

أمس الغريق، تبرّج حيّ السؤال تبدي زواياه شياطها وعطمها وحيطانها المجدورة. فاحت كراهة الروائح تخالط حنّاء العروس وكلس خربتها المطليّة حديثا.. هزجت الخرائب وهدم البيوت المهجورة. صدّت مصبّات المزابل القريبة بالفرح الملتاث. تنادى المتسولون من فلل الأحياء المجاورة يحضرون حفلة الزفاف. حملوا السّطول وعلب الأغذية المفرغة يجعلونها «درابيك» ودفوفا.. كانت فرصة مذهلة تعالت فيها الأكف السفلى قليلا على ذلّ الانبساط فتنفق بعض ما تملك ولا تلحّ في الشحاذة.. ابتاعوا نبيذا وتبغا وحشيشا وفواكه ولحوما تشوى على شرف المناسبة النادرة.. أقبل الليّل. ترنّح المحتفلون. تماجنوا. تفاحشوا. تطاولوا في الرذائل والمتع الموبقة.. رذّت السماء. استبشر التراب بالبلل. ابتهجوا للرذّاذ ينهمر رؤوفا فانشقّت المآزر الوسخة والقمصان المنتنة عن الصدور المكتحلة تسفر عن أخباء دمنة.. غزر الهطل. استعادت النّدوب المنسيّة ذاكرة الجراح الخامدة وتطارحت ويلات السنين الغابرة.. سعت رفيقة تحبك شركا لزوجها ينقذ ما بقي من وعيه المخلخل واجتهدت تحتال عليه ليدخل معها البيت فلم يطعها.. ثجّت المزن الثقّال مطرا عرما.. أفرغت الشوارع المرتفعة بطونها على الحيّ الخفيض وهرهرت فيه السيّول مندفعة. تساقط المبتهجون يتمرغون في المياه المتحدرة صرعى البكاء والنشوة والعقول الخاوية، وحيّ السؤال يجرجر «مكبكبا» في مجراه المعتاد إلى أسافل المدينة..

كان الماء يجرف الأغاني الخليعة والنشوات النزقة والفرح ودرابيك السطول والعلب والقوارير والأكياس والصرّر والحشايا المهترئة ونعال الموتى المتصدّق به وأثوابهم.. تدحرجت الحاويات تنعطف إلى شارع آخر أو ترتكن عند زاوية حادّة.. وبل المطر أكثف. ادلهمت السماء والعيون. تسدلّت ستور الظلام تطمس سطوع المصابيح المعلقة على جوانب الحي. سقطت رفيقة عاثرة في حفرة ما. ارتاع عبد الكريم. فقد مرشد عماه من كتفها. ابتعد. خبط تائها في السوّاد العميم. اصطدم بجدار. فقد عصاه. سار وحيدا يتلمّس موضع الغرق لقدميه.

كان يرتعش في سترة زرقاء ضيقّة وسروال قصير، ارتعدت ساقاه هلعا وهو لا ينفك يحوط نفسه بين الصرخة والأخرى بذراعيه متفقدا ثروة أفنى العمر يربيها بين لحمه وثوبه تتنقّع الآن في غسالة جسمه الدرين. يصرخ مهتاجا بالفزع. يسبّ أوهامه ويلعن رفيقة. يعارك أخيلة ويضرب سجف الماء المنهمرة.. «ملعونة يا رفيقة طمعت في ثروتي فأهلكتني فيها.. ملعونة يا رفيقة..

لن تنالي منها مليما واحدا..»
ولما تفطنت اليه رفيقة كان يسلم خطاه للمياه المتدفقة..
لم يعرف وقتئذ كيف يلبّي صوتها الرحمة. استدار على أعقابه فانزلق يتساقط إلى ماسور كبير انفتحت فوهته تحت ضغط الماء المتلاطم في جوفه..
أفرج عنها بكفالة الشفقة وغادرت مركز الشرطة هادئة، عاقلة، ناقصة ذكرى.
سحبت منها أداة الجريمة المحتملة. أوشكت أن تفقأ عينا أو تفتح جرحا أو تصيب أحدا بأذى الحديد لولا أن حصل التدخل في الوقت المناسب.
لم يعد الآن لعبد الكريم أدنى أثر. امحى اسمه بسرعة من ذاكرة الشوارع ومراقد الأرصفة.
كأنّه لم يعش زمنا من الضنك والشقاء إلاّ مدى ما بين صرختين.. قذفت به الأولى من عتمة الرّحم إلى حاشية المزبلة، وأوصلته الثانية إلى مصبّات الأوساخ المغسولة..

صمتت رفيقة بعض الوقت ثم صرخت :
في ذلك اليوم في العشيّة هبت نسائم باردة. احمرّت السماء نشوة كأنّ غائلة تحتها لم ترتكب. استبدلت رفيقة الأحلام الواسعة بثوبها البالي وعادت تطالب رزقها بأحلام واقعية معتدلة.
تركت خلفها الأغاني الولهى تغازل القلوب الناضجة وولجت الممشى المسقوف بشبك النبّات والعطور المحتفل بأربعينية صاحب الدار. ملئت كيس الخيش البنيّ صدقات جزيلة وخرجت ثقيلة الخطو، وعلى كتفها وضع رجل كفّة العمياء. دسّت رفيقة يدها مخاتلة تتحسّس جوانبه بحثا عن نقوده المحشورة بين لحمه الوسخ وملابسه، وكان هو إلى جانبها يخبط في ظلمات الطريق، مفكرًا في حجم الثروة التي استولت عليها أرملة أخيه عبد الكريم، مطرزًا ليلته الأولى معها أفحش الكلمات...

نصــوص

حلم في مهبّ الرحيل

نص بقلم : شريفة عرباوي

رحيل، كم عمّرت بالحلم الكبير مسافات العمر منذ البزوغ، فاندثر مع الرحيل، هباءات على غيمة التلاشي، وانحلّ نثارا، يستحيل على وهدة العزم المغمور في غيهب النفس، لملمة شتاته، وفيما وراء المألوف، في متاهات هذا الحلم، كم ركبت بحور المستحيل تجاه المراسي حيث غايات رسمتها، فلا الشواطىء اقتربت للرسو ولا تلك الغايات نيلت، إلاّ اليسير الذي لا يرتضيه أحدنا رصيدا، ولا يساوي حجم الصراعات العنيدة من أجل أن يكون.

كم رسمت، في لوح الأمام الذي امتدّ في أفق الخيال اتساعا، أمنيات وأمنيات، لا يرقى إليها انحصار، فانحصرت في يمّ الرحيل المتتالي، وتحلّلت كمثل حبات ثلج على أديم ساخن. وكم حلّقت، وأجنحة الطموح العارم مطيّتها، في مدن التشييد، حيث سماءات بلا تخوم تكبح التحليق، فلا التشييد استقام، ولا ما أملت في وسعه تلك المدن تمّ إدراكه.

كم هدّها الرحيل وأعيتها المسارب وشتّت حلمها الدروب، وها هي تستيقظ بعد شوط من السنين انقرض في ديجور العمر، كمثل الذي كان يسبح في متاهات الوهم، حيث المراسي النائية والشطآن التي لا يدركها ملاّح.

ها هي مسافرة بعد رحلتها الألف، أو ما يزيد من الزمن، عليها بكثير، وقد شدّت انتباهها كلمة رحيل عند اجتيازها ذلك الباب المعهود، باب يدخل منه الراحلون بعد الوداع الأخير لمشيّعيهم، ليتخذوا الجوّ طرقا عدة كلّ إلى حيث يقصد، نحو مطارات أخرى وبلدان أخرى، وحياة أخرى تتقارب في العيش وتختلف. ها هي تجتازه بعد رحلتها الألف، أو ما يزيد، من الزمن عليها بكثير، وهي مودّعة أهلا وأحبّة وأصدقاء. وها هي باكية موزّعة النفس بين الرحيل والبقاء. رحيل بالجسد وبقاء بكلّ

المشاعر المفعمة بالحبّ نحوهم، وإن مسّها بالظّلم البعض منهم، فهي لا تبالي بما صنعوه بها لحظة الرحيل، ويغتسل خاطرها بماء التسامح لحظتها، وتبكي لفراقهم داعية لهم، في السرّ والعلانية بالصحّة وامتداد العمر، حتى تأتي من جديد، لحظة اللقاء.

آه... كم مجّت الرحيل ورصف الحقائب والركض بين هنا وهناك. أما آن لها أن تستقرّ بعد رحلتها الألف؟ ولهذه الحقيبة أن ترتكن في ركن من البيت ولا تعود للرحيل، مرّة أخرى رفقة صاحبتها؟

القيروان
2009
عاصمة الثقافة الاسلامية

قبل البَرد بجرح *

نص بقلم: الميداني العماري

ككلّ المساءات... ككلّ اللّيالي... ككلّ الصبّاحات... ككلّ النّهارات أقعي سادرا على أعتاب التيّه أرنو إلى الأفق الغائم القصيّ، فتحضرك الذاكرة، وأراك تميدين، باسمة، ساخرة من إرهاصات الدنّيا، لا تصدك صياص، ولا تغمرك هموم.
أراك النّورسة التي بدأت توضبّ عشهّا على صبّار قلبي القائظ...
أراك الودق المعشوق حين يهمي، وأراك البلسم لكلمي.
في كلّ رتوة جديدة أخطوها، أتوق إليك حتى لا تصبح النهارات ثقيلة، رتيبة كما عهدتها قبل أن أجدفّ في محيطاتك.
أتوق إليك حتّى لا يضرب المحل كبدي، واليباب في جناني، فترتحل النّوارس والوطاويط وتنوخ بجزائر دفء في أقاصي التّخوم.
أتوق إليك في وحشة آخرة اللّيل، حين أهجع إلى غربتي، أهادن عواء إذكارك الأصمّ.
أتوق إليك حتّى لا تمور الأرض، فتستحيل الطّور والأوزار، وتغور البحار.
أتوق إليك كلمّا فحتّ السّموم المجنونة في أحشائي، وركضت نوضٌ في الطّرمساء، فأتحاتت مكدودا على مرافىء الإنكسار والنّسيان.
كلّ ساعة تفرّ، أدرك كم أنا في حاجة إليك، وكم هي دافئة ضحكاتك حين تكونين في حضرة شيطاني.
يا كم خبنا وما خبونا، لكننّا ضيعّنا بداوتنا، الآن أؤوب من مراثي وجعي الأغين، صاغرا،.. الخاصرة، لا خاصرة، وخلفي تربض دمعة كبيرة للنوّح الآتي.
ككلّ الليالي أرنو الى السماء... أتوق اليك في وحشة آخر الليل.. أتدثر بغربتي.. أتوسّد وجعي وأنيني وتطوقني بحار من الحزن والانكسار...
... أؤوب والقلب غراب... جلدي خيمة، أوتادها عظام.

* البَرْدُ: الموت



الشعر

ثلاث قصائد

شعر : الحسناوي الزارعي

صباح

في زحمة الصبّاح كم أشعر بالبردْ
كم تنزف جراحي وغربتي تشتد
مشتغرق إصباحي في الوحشة والبعد
ضمآن يا أقداحي تاللّه كم أود
أن أفردَ جناحي حين يفيض الوجد
ألملم أفراحي رغم الضنا والسّهد
أطوف بالبطاح أفرشها بالورد
والفلّ والأقاح والعنبر والند
لكن نبا سلاحي وأخلفوني الوعد
أهيم في البراح والشوق مستبد
أرجو يد السّماح لو أنها تمتد
لتحكم وشاحي تجلي الجفا والصد
أم قدري يا صاح أسعى ولا أجد
في زمن النبّاح والمومس والوغد
تخنقني أتراحي وحدي ولا أحد ؟

ليـلـــي

ليل الرمال النائما ت على الضّما ليلي
أرنو إلى الأنسام والأزهار والطّل
وأظلّ منتظرا
طلقا ومفتخرا
كالطّود لا أهتز مهما ضاعفوا حملي
ليل الرّمال النائما ت على الضّما ليلي

* * *

حلم الرّمال النّائما ت على الضّما حلمي
يملي عليّ التوق يا أصحابي ما يملي
خوفي أنا اليائس
من وقتنا العابس
والنّاس شلوّ هازل في مرجل يغلي
ليل الرّمال النائما ت على الضّما ليلي

* * *

صحو الرّمال النائما ت على الضما صحوي
صبّ.. هوايا شامخ لكنّــي أهــوي
حرت لمن أسعى
يا خيبة المسعى
لا عاذلي كفّ ولا سرّ الهوى خلّيّ
ليل الرّمال النّائما يت على الضّما ليلي

الحسناوي الزارعـي

رسالة من مروان البرغوثي
إلى الأهل والرفاق*

سلامٌ إلى الأهل ألف سلام
إلى رفقتي ألف ألف سلام

إلى كلّ من مات واستشهد
ومن يستعدّ لكأس الحِمام

ومن سجنوه اعتسافا وغدرا
وذاق الهوان ومرّ السّقام

ومن عذّبوه ومن شرّدوه
ومن ضاق ذرعا وملّ المقام

سلامٌ.. وبعدُ... فإني بخير
على العهد دوما أصون الذّمام

عزيزا كما كنت.. عزمي حديد
ولي في النضال رفاق كرام

أنا يا أحبتي لست السّجين
هو الاحتلال سجين الظلام

وهامتي كالأمس مرفوقة
ودوما تداعب موج الغمام

وصيتّي يا رفقتي واصلوا
لنا النّصر مهما استمرّ الخصام

تذكروا أننّا طلاّب حقّ
ولن يستعيده إلاّ الدوام

فلسطين في القلب أمّ الجميع
وزاد المحبّ ونسغ الغرام

لنا النصر مهما استبدّ الطغاة
لنا النصر مهما يطول الصدّام

ختاما لكم قبلاتي وعمري
فأنتم بدئي ومسك الختام

وعذرا إذا قصّر قلمي
ولم أهتد لبديع الكلام

الحسناوي الزارعــي

---

* ألقى المحتل الصهيوني القبض على البرغوثي يوم 2 أفريل 2002 وأحيل هذا القائد البطل إلى المحاكمة في سبتمبر من نفس السنة وهو ما يزال في سجون العدو الصهيوني البغيض.

عــودة الخطـاف

شعر : فتحية العروسي

يا طائري الجميل غرد على الأفنان،
وشنف الآذان...
فالفجر قد يعود بالأمل الموعود...
فكلنّا عيون في زمن مجنون...
نرنو إلى الضياء
وكلنا رجاء...
نسابق الزمن
ونصنع الأمل...
يا طائري الحبيب..
يكفي من الأنين...
فمهما الليل طال...
سيولد النهار...
سيولد الصباح...
رغم أوجاع الجراح...
ونغني للوطن...
وكلنّا أمل...

سنغني للحياة

شعر: صالح الطرابلسي

نحن أطفال الأماني ... سنغني للفرح
سنغنّي للسّلام ... لابتسامات الزّمان
سنغنّي... سنغنّي ... ونطير كالحمام
في حبور ومرح

يا رفاق، يا رفاق ... فلتصيحوا للصدّاح
هي ذي الأطيار تشدو ... لحن حبّ كالصبّاح
والأغاريد تعالت ... سلسبيلا من قراح
تشعل الكون الحزين ... جلنّارا وأقاح
في حبور ومرح

يا رفاق، يا رفاق ... ها العناديل تغنّي
عانق الفجر ضياه ... فلتظلي يا بلادي
لحن حبّ في القلوب ... ردّد الكون صداه
فآحضنينا يا أميمة ... ولنغنّي للحياة
في حبور ومرح

لون الضحى

شعر : حاتم النقاطي

- 1 -

تلك الشمس التي غفلت عنا
تثاءبت هذا الصباح
ترقب وجوها غارقة في الطين والأمنيات
تزحف نحو ساحات مفجوعة بوعود الأمس
هناك . . .
قهقهات الأطفال . .
همس الصبايا . .
ظل الضّحى . . .

- 2 -

أنا هكذا . . .
تربكني الثياب التي سألبس
والنعل الذي سأدوس
فرحة الحياة . . .
عاريا أتمدّد في دفء السرير
ألوك لذة الأمس
عطر امرأة من غيم
وشهوات الخيال

طـــفـــل

شعر : خالد الدرويش

لم يكن قـــد تجاوز
السّابعة من عمره . . .
هــذا المـــلاك . . .
يبعثر محفظته .
وأدواته الصغيرة . .
ويحافظ على
أوقـــات اللّعب . . .
وعـــلــى الدّهشــــة
والأمنيـــات الكـــثـــيـــرة . . .
لـم يكـن قـد تجـاوز . . .
السابعة من عمره
حين تسمّـــر مندهشــا
أمـــام . . . تساقط المطر
والأمـــــــــــوات .
لم يكن قد تجاوز
السابعة من عمره
هذا الملاك . . .
إلاّ أنه . . . يحافظ
على الدهشة الحالمه
وعلى الأمنيات الكثيرة . . .

حــــيــن مــــرّت

شعر : محمد غواري

حين مرّت
لم أر وجه الصباح المجدلي
لم أنم
لم أر في شعرها
فرشاة رسمي
تعصر من شهوتي
حمّى اللقاء
تحتلــــــــم
يشتهي الليل نبيذا
من شفاه تبتســــــم
غير أن الحلم مر حين مرت . . .
ربما عادت إلـيّ
تزرع حلما جديدا
حلمة في كل فم
أذكر أني اشتهيت
وجنتيهـــــــا . .
أبرق الوجد اليها
باء بالاثم، وعاد
يشرب من راحتيها . .
يضطــــــرم
والأســاور
تأكل من معصميها
ترسل فـــيّ الحمم
لم أر عنوان بيتي في قصيدي
لم يكن في الأرض غيري
هكذا الأجساد فرت
حين مرت
يا لبوحي . .
كلما غص بحلقي
استحال الأفق فيضا من عدم
حين مرت . . لم أنـــم
لم أر . . .
وجه الصباح المجدلي
واستحال القلب . .
جرحا نازفا
يكويه الألم . . .

النـــار تحتــفي بالشهـوة

شعر : سليم الحاج قاسم

ـ 1 ـ

للسماء ـ إذا خانت النار تذكارها ـ
لون شعرك،
أو بعض فيء
يضمخ أنفاسنا بالسكينة
بنا غسق
ينحني مبهما بالأريج
ونبوءات أرواحنا النائيهْ
لا أسميك أصداء إشراقة،
أو شهيق الكلام
سأسميك موتي وأشياءه
ولتمدّ القيامة أشلاءنا ياسمينه
ليأت النشيج
مرجأ للوراء وللماوراء

ـ 2 ـ

سيواري الندى جسدينا
بحيرة كميائه..
وسيترك أشواقنا للعراء
عند سارية في تخوم البحار
وأفق السفينه
فلما يعد سرمديّـا
ليقتلع الأرض من غمدها..
ربما تنتفي شهقات الردى
في الردى
أو على دمعة المنتحب
ربما عاد رجع الصدى
للصدى...
ربمـــا ربمـــا...
ربما يقرأ الليل وجهي
على وجنتي من أحب

ـ 3 ـ

كـل ّما يتراءى بأمسي
يشد الفضاء إلي...
إلى بتلات الرحيل
ونبض الهواء
فلأمدد ـ إذا ـ قرب وجهك وجهي..
لتكتض فينا / بنا لعنات دفينه
ويرمي الحريق يدينا بكفك،
ثم يموت النداء
برج نار، فجرا، وزينه.

مــــرافــــئ الـــــوجــــــد

شعر : ابتسام الخميري

أعوّدني أن أراني
كما كنت دوما.. وحيدة
عنيـــــده...
أعوّدني أن أراني
امتدادا لجرح وحلم..
وفرح يرقص يعلو..
طريق الأنين.. عبرت
أعوّدني أن أراني
راسخة كالوتد
عالية برمل الجنوب نخلة
أعوّدني كما عمر الشروق أكون..
تروح عنّي خليّة حزن
وتنمو نرجسة..
هـهنا.. كنّـا
أكنت نبيّاً ! ! تغـازلني وتسعد ! !
أحطّ رحالي قليلا لديك
فتنهر هذا الصبّا
وأبدو.. طريده
أطارد للعمر بقايا الوجع
أطارد للحلم خفايا الرسوم..
همسات تحيطني
تلوّن بعض غموضي
ومنك الألم..
أعوّدني أن أراني
مركبة.. تمرّرك للشروق
أعوّدني أن تـرانـي
جسر.. وأراني
مزيجا لحلم تآكل
وحلم تكوّر.. فأشاع
وأسبح.. أسبح عطشى
وتراني جميلة...
أعوّدني أن أراني
أروّض هذا الجسد.. ليرقص
وأنتصب جلاّد جرح السنّين
لأعبـــــر...
وأكتب إليك كلّما :
نقيق الوجع بأذني همس
فهل يديك إليّ تمـدّ؟ ! وهل ؟ !
ونحن أجنّة درب المحال ؟ !
وهل أظنّك عمري الجميل ؟ !
باختصار...
أنا ها هنا شذى للجروح
فهاك عيوني كي تراني...

أضغــــاث ذكــــرى

شعر : الهادي العثماني

ـ 1 ـ

لنا ذكرى
نلملها إذا انتشرت
نرمّمها إذا انكسرت
ونسعرها إذا انطفأت، لتشتعل
تجليهـا . . .
ونحفظها بما فيها
ونركبها لنرتحل
نراقبها بلا ملل
ونكتبها على مهل
وندخلها لنغتسل
بطهر عند واديها
ونرمي في مراميها
فنسكنها، وتسكننا لنكتمل.

ـ 2 ـ

لنــــا لغـــــــــة
نعلمها صراخ اللاّم والألف
وزيف المين والصلف
نصوغ فيها أغنية
ونشدو في معانيها
لليل لا يهادننا . .
على وجع نغنيها
ونكتبهــــــا ، على صفحات ماضينا
ونحييهــــا
ونحيا في معالمها
ونسعى في بواديها ،
نمجدها ، نعمدها بلام الرفض صارخه
ونسمو في تساميها .

ـ 3 ـ

لنـا قمــــــــم
من الأمجاد والشرف
سنحفظها . . من التلف
ونحميهــــــــــــــا .
لنا ذكرى هويتنا حروف فوق بردتها
صهيل الضاد يحكيها
لنا لغة إذا انطقت بيان الحرف رونقها
مضيئا في صحائفها منيرا في دياجيها
لنا ذكرى
مدى الأيام ننشدها
بهاء الروّح نسقيها
ونــــزرعهــــــا
وترعـــانـــا ونحـــيـــهـــا . . .

أنت صباح لهذا الصباح

شعر : نادر بن سالم

(إنّي أتدلّـى مثـل الشـّص
في الغرف المسكونة بالحرقات
لا تمـدّد يدك... لا تبتسم)
فأنت صباح لهذا الصباح
وأنت سفير لهذا القلق
وأنت دماء بكل البطاح
وأنت لفتنتنا غمرة من شبق
تعال ومل فوق كذبتنا
والغا في الأفق
وقرب شفاه الندى ضحكة للإله
وأنشب دموعي على كل وجه
مدى واضحه
غمضت قليلا
وطبت فراديس ضوء
ولنت لهم يا دمي
فاتضح يا دمي
لعنة في الصدور
ووابل ممطرهم.. حرقا وغرق
أحاول هذا الفضاء
أدقق في كل نحر
وأسري خطى تتدلى
على قوب قوسين
(إني أتدلى مثل الشص
إذ رحلت مهجتي نبأ في سبأ
سآتيك يا مهجتي
خرقة تتهجى الخرائب فتحا جديدا
وجزية طوفاننا المحترق
سفينة روحك غاضت
تدفقت من كل زوجين فيها
وأسلمت شعلتها للغريب
فهلا استوت روح من قد تحب
على ماء خلقك يا متهم
وغيضت مياه الشجن
سبحة من ضياء
وحضنا لمن يلوذ
بحضن الوطن

بوح نساء عاشقات

شعر : المهدي القرمازي

قالت الأولى :

أحنّ لأهلي ومن في البلد ... وفي حاجة لفؤاد يود
وأشعر بالضيق يكبتني ... فأرجوك يا صاح لا تبتعد
وحولي خيال له فتنه ... يروح ويغدو بأخذ ورد
وأنت حبيبي قريب مجيب ... وشوقي إليك يطيل الأمد
وعندي سؤال يحيرني ... متى تعرف الحبّ يا مستبد
وأي مكان سيجمعنا ... وهل ينجز الحرّ ما قد وعد؟
لجأت إلى الصبر ما ضمّني ... وجرّبت حظي فلم أستفد
وأظهرت حسني فماذا ترى ... أحبّك يا أنت أو لا أحد

وقالت الثانية :

ماذا أقول وصاحبي ... عذب الحديث وسيم
صادفته هذا المساء ... وكأنّه مهموم ! ..
أبحرت في أعماقه ... قلب المحبّ سليم
وسألته ما باله ... فأجابني « مظلوم »
عيناه توحي بالهوى ... لي يشتكي ويلوم
لتقول لي سحناته ... إن الفتى محروم ..
ماذا وراء سكوته؟ !.. ... ما سرّه المكتوم ؟ ..
فعلمت أن خليلنا ... بجوارنا سيقيم
فوقعت في أحضانه ... فإذا الفتى مغروم ! ..
وإذا أنا محظوظة ... وإذا الأمير عظيم
قدر أجاد بمثله ... إنّ النبيل حليم
ويحبّني ويعزّني ... وكتابنا محسوم !

وقالت الثالثة :

من أين أبدأ قصتّي	والقلب في تعذيب
أشكو إليك صبابة	يا صاحبي وحبيبي
الهجر هيّج لوعتي	والشوق للمحبوب
نفسي تتوق لفارس	واللّه فيه نصيبي
والحبّ حيّر هاجسي	ويذيبني بلهيب
فأنا العليلة يا هوى	والمستبد طبيبي
جرحي عميق مؤلم	ضمّدته بجيوبي
ما ذنب عذراء هوت	حتّى فنت بلهيب!..
لكنّني لا أنثني	مهما تزيد كروبي
فكرامتي عند النسا	والنجح للموهوب
عشق الرجال محتّم	يحتاج للمطلوب
كالصيّد يبدو ثابتا	في دقة التصويب
ضحيّت من أجل الفتى	وسلكت كلّ الدروب
لمّا سقاني ودّه	آمنت بالمكتوب ! ..

حانـــــة

شعر : عمر دغرير

أدخّن كلماتي . .

وأترشف دموعها المثلجه

كما لو أنني

في مقهى عربي . . .

أو في حانة

من حانات القصيدة المتوحشه . .

النادل يصرخ

وهو يهرول خلف مخمور شرب

ولم يدفع ما عليه . . .

وراقصة شبه عارية . . .

تلعق بعينيها وجه حريف . . .

وأظافر نهديها

تسلب حافظة أوراقه . . .

وأموالـــــه . . .

وبكاء أطفاله . . .

وصمت زوجته القابعة

خلف باب غرفتها

المكشوفة على وجه اللّه

حارس الدنيا والآخرة . . .

ماذا يريد الضوء منا ؟

شعر : ناصر البدري ـ سلطنة عُمان

هاك . . اغرفي بيديك مائي
واشربي
نبتّل، مثل حضورنا، ألقا
ونزهر في السؤال بلا جواب
البحر نافذة الخلاص
وإنّني كالملح أغرق في بياض الخلق
إن قلبا أراق دما وجاور منه ما بي
يا أنت . . .
متكأ اليباس طريقنا
قلنا : «سنلخع ما تأزّم
من قصاصات الهوى
سترا سنتخذ القماط . . فخاننا
حتى كأنّا والثياب بلا ثياب
قلنا . . فزمّ الليل من رئتيه . .
«ليس هنا»
فقلنا :
«إنّا سنهزء . . ما تبقى من مسام الطّيش
متكئين في كسل على قمر
يغازل طهرنا
حتى يصيح الليل : «يا ليلى أعيدي لي
صوابي»
قلنا . . إلى أن ضاق بالكلمات أفق القول
أغلقنا نوافذنا

استقال الحرف
هيّنا له شفة ينام على
غزارتها ويحلم بالإياب
يا قبلتي . .
والنخل يركع عذقه أين اتجهت
توضّئي بي ركعتين
الفجر منقسم على
كفّين شاسعتين . . ينطرنا
وإنّا ماكثون على غواية حلمنا
نبتزه حتى يلين صبابة
حذرين . . إلا من شقاوتنا
وإنّـا . . .
هل خذلنا قوسين بالصبر
لا . . . . . .
قولي لقبلك لا يسلّم ما تبقى
من ملامحنا لآلهة القباب
قولي له . . هذا أوان الرمل
موعدنا بلا صحراء
نخرّ ارتعاشا كيفما شئنا
نذوب كما أراد الماء
نقرأ آية القرب اللذيذ
نقيمها الدنيا ونقعدها سريرا
من لهاث صاحب

لا شرط يلزمنا..
قد اتّحد المغادر بالمغادر،
والسحابة بالضباب
الحلم، سيد الحضور،
فطورنا هذا الصباح
ماذا يريد الضوء منّا ؟
إنّنا جسدان.. لا.. جسد..
نهران.. لا.. نهر
ليلان.. لا.. ليل
لونان.. لا.. لون
إذا... ماذا يريد الضوء منا ؟
لن نعرض وجهنا للشّمس هذا اليوم
لسنا في مزاج رائق للفصل
بين الجرح والجسد المصاب
الخائفون هم الذين يسومهم
سوء الغياب حضورهم
لا تسألي من أين جاءوا، أو متى بعثوا
فإن الخائفين سماؤهم حبلى،
بالقحط والعطش اليباب
يتوافدون بلا قناديل على أرواحهم
أو كلّما قلب تنزّل قدسه
ألقى عصاه كبيرهم ومضى
يقلّب ما يجرجر من كتاب
ما نحن والخوف الذي يصفون؟
إنّا ههنا.. مترعان بما يودّ الحبّ
يكلأنا حضور لافت للانتصاب
هاتي يديك صغيرتي لتلفّ قلبي
هاتي الشراشيف
والملاءات الجديدة والقديمة
سكرنا سنحيله أبدية أو أبجدية
رعشاتنا عرق يؤثث للهواء طفولة النسمات
تسري رعدة أولى
فأولى بالشّهيّ إذا تلاصق عاشقان
بأن يؤذّن في مسامعنا
هذا أوان العشق
أول عهدنا بالرّعشة الكبرى
وبالطيران والشبّق السّحاب
ما نحن في بحث حثيث
عن هويّتنا
اكتشفناها جزافا..
أيّها الميقات شكرا
اكتفي بالذي أنت فيه من السّراب
لزجان.. لا صبح ولا ليل
سبقنا ظلّ خيبتنا فما نرجو لسائرنا
حلولا في إهاب
الأرض نافلة إذا استعمرت قلبا ناصعا
لا تقترب يا برد من دمنا
هذا أوان الكشف والصلوات مشرعة
وإنّا في النّصاب...

متابعات ثقافية

متابعات ثقافية

بقلم : أبو يحيى

الدورة السنوية للمجلس الأعلى للاتصال

التأمت هذه الدورة يوم 3 /11/ 2008 تحت إشراف رئيس المجلس الدكتور عبد الباقي الهرماسي، وقد تضمن جدول أعمال الدورة تقديم الأعضاء الجدد وتكوين اللجان المختصة.

وقد أذن رئيس الدولة في الذكرى 20 للتحول بتوسيع صلاحيات المجلس وتحويله إلى مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، والغاية من كل ذلك هي المساهمة الفاعلة في النهوض بالمشهد الاعلامي في البلاد وخاصة السمعي البصري.

الدورة 22 لأيام قرطاج السينمائية

احتضنت العاصمة تونس هذه الدورة الملتئمة من 25 /10/ 2008 إلى 01 /11/ 2008. وتعتبر هذه التظاهرة التي تنظمها وزارة الثقافة والمحافظة على التراث كل سنتين بالتداول مع أيام قرطاج المسرحية موعدا هاما لعرض الانتاج الجديد في مجال السينما وخاصة الافلام العربية والافريقية المتنافسة على الجوائز.

المسابقة الرسمية لهذه الدورة تضمنت 18 فيلما طويلا و9 أشرطة قصيرة.

جائزة اليونسكو 2008

فاز الأديب المصري جابر عصفور بجائزة اليونسكو للثقافة العربية لسنة 2008، وهي جائزة يمولّها حاكم الشارقة باعتباره صاحب فكرة إنشائها. وللتذكير فإنّ الدكتور جابر عصفور هو حاليا مدير المركز القومي للترجمة في مصر.

الذكرى الخمسين لتأسيس الجامعة التونسية (1958، 2008)

احتفلت وزارة التعليم العالي وكافة كلياتها ومعاهدها العليا ومؤسساتها البحثية والتكنولوجية خلال شهر نوفمبر 2008 بالذكرى الخمسين لتأسيس الجامعة التونسية التي انجبت أدباء ومفكرين ونقاد وباحثين وعلماء وأساتذة أجلاء طبقت شهرتهم الآفاق.

الجمعية التونسية للمخترعين

نظمت هذه الجمعية فيما بين 22 و24 نوفمبر الماضي تظاهرة خاصة بالاختراع والمخترعين حيث تولى حوالي 70 باحثا ومخترعا عرض ابتكاراتهم في مجال عديدة كما تمّ تنظيم لقاء حول الملكية الفكرية والتجديد.

مهرجان الاعلام العربي

توّجت بلادنا - في شهر نوفمبر - بثلاثة جوائز ذهبية في مهرجان الاعلام العربي بالقاهرة في دورته الرابعة التي شهدت مشاركة 20 بلدا.

- الجائزة الأولى كانت من نصيب المسلسل الاجتماعي (صيد الريم) لرفيقة بوجدي إخراج علي منصور والذي تولت عرضه القناة التلفزية 21.

- الجائزة الثانية تحصلت عليها الاذاعية كريمة الوسلاتي عن برنامجها الاذاعي (أهل الفن) الذي تتولى بثّه الاذاعة الوطنية التونسية.

- الجائزة الثالثة توّج بها الممثل قابيل السياري باعتباره أحسن ممثل صاعد اعتمادا على مساهمته في مسلسل صيد الريم.

مع الملاحظ انّ مقالا صدر في احدى الدوريات التونسية وضّح فيه كاتبه تطابقا بين صيد الريم لرفيقة بوجدي ودعاء الكروان لطه حسين وقدم فيه الحجج والبراهين !

وداعا... وداعا

خلال الثلاثية الأخيرة لهذا العام 2008 غادرنا وإلى الأبد الاعلامي ورجل الفكر والأدب والثقافة عبد الحفيظ بوراوي، ومن لا يعرف الحاج عبد الحفيظ بوراوي في مدينة سوسة وإشعاعه الثقافي في جهة الساحل.

كما غادرنا أيضا الشاعر الرقيق والديبلوماسي الشاذلي زوكار الذي عمل سفيرا لبلادنا في مصر ردحا من الزمن والذي أشع في الساحة الثقافية التونسية من خلال حضوره في الأمسيات الأدبية والمهرجانات الثقافية ومن خلال ما كان يكتبه أسبوعيا من مقالات في الملحق الثقافي لجريدة الحرية.

تكنولوجيا المعلومات

احتضنت بلادنا في أواخر شهر نوفمبر وعلى امتداد يومين منتدى دوليا لتكنولوجيا المعلومات والاتصال بحضور ألف مشارك من خمسين بلدا. المنتدى وضع تحت سامي اشراف رئيس الدولة وشهد بالتوازي مع الدراسات والبحوث اقامة معرض تكنولوجي وأيام إعلامية وذلك بقصر المؤتمرات بياسمين الحمامات.

الأوسط العياري من أمريكا إلى باب سويقة

في دار الثقافة أحمد بوليمان بباب سويقة وفي الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر نظّمت الجمعية التونسية للرياضيات والتطبيقات لقاء جمع العالم التونسي في وكالة الفضاء الأمريكية محمد الاوسط العياري وجمع من الشبان والطلبة حيث تحدث الضيف عن تجربته ومسيرته وتفاصيل نجاحه وآفاق برامجه ثم كان الحوار والصور

التذكارية... لقاء شيّق أسعد الكثيرين ويستحق فعلا أن يظل ثابتا في الذاكرة.

فيلم «ثلاثون» للفاضل الجزيري

أثمر انطلاق العرض التجاري لفيلم الفاضل الجزيري (ثلاثون) لقاء مع هذا الأخير في دار الثقافة ابن خلدون بالعاصمة أواخر الشهر الماضي (نوفمبر 2008) حضره عدد من الممثلين والتقنيين المساهمين في الفيلم اضافة إلى مجموعة من النقاد والاعلاميين. اللقاء كان مناسبة للنقاش وطرح الأسئلة وإبداء الرأي حيث تجلّت وجهات نظر مختلفة ومتباينة أحيانا بخصوص الكتابة والاخراج والطرح واختيار الممثلين وغيرها من المسائل ذات العلاقة.

أيام ثقافية تونسية في سوريا

في اطار تظاهرة دمشق عاصمة للثقافة العربية سنة 2008 أقامت بلادنا خلال الاسبوع الاول من الشهر الحالي (ديسمبر) أياما ثقافية تونسية في سوريا وقد حرصت وزارة الثقافة والمحافظة على التراث على إعداد برنامج شامل يعكس ثراء وتنوع المشهد الثقافي التونسي. وقد أشرف وزير الثقافة والمحافظة على التراث السيد عبد الرؤوف الباسطي على فعاليات هذه الأيام الثقافية.

دليل المواقع

أصدر الدكتور المولدي فرّوج هذا الدليل الخاص بأعضاء اتحاد الكتاب التونسيين في اخراج أنيق تضمن 229 اسما وموقعا.

ويقول في مقدمة هذا الدليل ما يلي : «انّ هذا الدليل ليس غاية في حدّ ذاته وانما هو ضرورة لتبيان الطريق التي بها يستدل عضو الاتحاد في البحث والاطلاع ... وسوف لن نتحدث عن الحداثة في عصر الرقمنة ولا عن النشر الالكتروني فهذا العصر فرض نفسه بشكله الجديد وما علينا الا أن ننخرط في الحداثة المعلوماتية أبطالا وضحايا»... ويشير في الختام الى انّ الغاية والهدف هي تأسيس مكتبة رقمية نطمح الى انشائها جميعا باحثون وقرآء.

المنتدى المصطلحي الدولي 2008

أواخر الشهر المنصرم شهدت مدينة سوسة فعاليات المنتدى المصطلحي الدولي 2008. هذه التظاهرة تندرج ضمن الاحتفال بخمسينية الجامعة التونسية واعلان سنة 2008 سنة عالمية للغات.

اشغال هذا المنتدى شارك فيها باحثون من تونس والجزائر وسوريا وماليزيا وتوزعت على ثلاث جلسات علمية. تناولت الجلسة العلمية الأولى موضوع (القضايا النظرية) والجلسة الثانية موضوع (المصطلح وأنساقه الفلسفية والمعرفية والثقافية) وتناولت الجلسة العلمية الثالثة موضوع (اشكاليات

الوافد المصطلحي) علما بأن كل جلسة شهدت تقديم عديد المداخلات العلمية.

جائزة عالمية لشوقي الماجري

لأول مرة يفوز مسلسل عربي (الاجتياح - اخراج التونسي شوقي الماجري) بجائزة «إيمي» العالمية عن فئة المسلسلات الطويلة والتي تنظمها الاكاديمية الدولية للفنون التلفزيونية. المسلسل وقع اختياره من بين أربعين عملا من ستة عشر دولة. فوز يؤكد قيمة هذا المخرج التونسي المتميز وامكانياته الكبيرة.

2008 السنة الوطنية للترجمة

في اطار 2008 السنة الوطنية للترجمة القى الأستاذ محمد بن الاصفر المحامي محاضرة عنوانها (ورقات من سجل الترجمة وبعض المترجمين في تونس) وذلك في مكتبة مدينة تونس.

كما نظمت بيت الحكمة (عيد الترجمة) حيث تمّ عرض اصدارات بيت الحكمة في حفل الترجمة وتقديم آخر الاصدارات في مجال الترجمة وتكريم مجموعة من الأساتذة المهتمين بالترجمة من بينهم : المنجي الشملي وأبو يعرب المرزوقي وعبد الرزاق الحليوي ومنير الفندري والهادي التيمومي وغيرهم.

في الاطار نفسه نظمت جامعة الزيتونة وإحدى المؤسسات الالمانية يوما دراسيا دوليا حول «ترجمة النص الديني».

القيروان
2009
عاصمة الثقافة الاسلامية

كتب جديدة

إعداد : أبو خولة

الإبداع الانساني في الفكر الأسطوري

لعفيف البوني الأستاذ الجامعي بمعهد الفنون الجميلة بتونس صدر هذه الأيام كتاب بعنوان : «الابداع الانساني في الفكر الأسطوري والديني والعلمي».

الكتاب يمسح 239 صفحة وقد صدر عن مركز النشر الجامعي بتونس وعن دار سحر للنشر وقد تضمن ثلاثة أقسام : الإبداع في الفكر الأسطوري والديني [أصل الخلق] ـ الطبيعة والحياة والانسان حسب المعرفة العلمية [أصل الكون] ـ ظاهرة الخلق والإبداعية الانسانية في العلوم الاجتماعية [مفهوم الخلق والإبداع].

وقد اختتم الكتاب بقائمة ببليوغرافية وافتتح بثلاث تقديمات : التقديم الأول بقلم فتحي التريكي والتقديم الثاني بقلم الحبيب بيدة وكان التقديم الثالث بقلم المؤلف نفسه.

يقول الأستاذ فتحي التريكي في تقديمه : «يعد الإبداع مقوّما من المقومات الأساسية للحياة العلمية والثقافية في مجتمعاتنا الحالية التي تتسم بعلاقة تسارعية بين الانتاج المكثف والاستهلاك المتواصل.

. . . ففي المجتمعات الغربية أولى الباحثون في جل الاختصاصات اشكالية الابداع والابداعية منزلة متميزة في الدراسات الأدبية».

الكتاب قيّم في مادته ويكشف عن سعة اطلاع صاحبه وقد جاء بأسلوب سلس يشدّ القارىء اليه شداّ. ولا شك في أنّ المهتمين بالشأن الثقافي والطلبة على وجه الخصوص سيجدون فيه من المتعة والافادة الشيء الكثير.

المشكاة

صدر مؤخرا العدد الخامس من مجلة المشكاة التي تتولى إصدارها سنويا جامعة الزيتونة بتونس وقد جاء العدد ثريا بالمقالات والدراسات القيّمة نذكر منها على سبيل المثال :

- مسائل الخلاف بين أبي حنيفة وفقهاء السنة من خلال كتاب الأحكام السلطانية للماوردي بقلم حسن بزايتيّة.
- المنزع الكلامي والفلسفي عند ابن خلدون بقلم محمد العربي بوعزيزي.
- النبوّة في الفكر الديني قبل الاسلام بقلم نسريّة بوعلاقي.
- الشرح التحليلي للحديث : (دراسة في المنهج والضوابط) بقلم محمد الناصر الزعايري.

وفي العدد دراسات أخرى قيّمة كتبها الأساتذة : نصر الجويلي ـ الصادق الخوني ـ عزوز الشوالي ـ عفيف الصبابطي ـ عمار العشي ـ هشام قريسة وآخرون. . . المهمّ هو أن العدد قيّم وهو خاص بالعام المنصرم 2007 إلا أنه لا يباع في الأسواق رغم أهميته.

على عتبات الشرق والغرب

العنوان الكامل للكتاب (على عتبات الشرق والغرب : الأدب المقارن) وقد اشترك في تأليفه منذر الشفرة (من تونس) ومحمد الطاهر العصفور (من البحرين) وقد صدر مؤخرا في 147 صفحة عن مطبعة النصر بالقيروان.

هذا الكتاب يضمّ مجموعة من الدراسات لكتّاب من الشرق والغرب ضمن مبحث الأدب المقارن. واشكاليات البحث في الأدب المقارن تفتح على بابين : باب الذات الكاتبة في علاقتها بالأثر الذي تنتجه، وباب علاقة هذه الذات بآخرها البعيد القريب فالعلاقة بين هذين المجالين الحضاريين ما زالت قائمة وما زالت موضع جذب وتقاطع والتقاء وهي تفتح على فصول مهمة تشمل علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم الدلالات وتمسّ ظواهر شائكة مثل الاستشراق والاستعمار وغير ذلك. . . كما يقارب هذا الكتاب العديد من الاشكاليات ذات الصلة مثل رمزية الخطاب الشعري ـ مفهوم النظرية في عالمنا العربي ـ الأدب بين الرومانسية والرسالية وغيرها من المواضيع التي تشد اليها القارىء.

وقد تولّى تقديم هذا الكتاب الدكتور صلاح الدين بوجاه فاعتبره كتابا لافتا دون شك لأهمية الطرح والتناول للقضايا والمواضيع والاشكاليات.

حركات الشعر الجديد بتونس

هذا الكتاب هو من تأليف الصديق الشاعر سوف عبيد وهو الكتاب الحامل لرقم 7 ضمن سلسلة كتاب الحرية وهي سلسلة شهرية تصدرها جريدة الحرية التي يديرها ويترأس تحريرها الدكتور المنجي الزيدي. مسح هذا الكتاب 135 صفحة من القطع المتوسط وقد تضمن مجموعة من الفصول نذكر من بينها :

أوائل الشعر العربي في تونس / الشعر ليس فقط الموزون المقفّى / براعم الخضراء : سعيد أبو بكر / أبو القاسم الشابي في قصائده المنثورة / محمد البشروش من الرومنطيقية الى النصوف / بين استثناء التجديد وقاعدة التقليد : مصطفى خريّف / حلقة الوصل : أبو القاسم محمد كرّو / عودة التجديد : صالح القرمادي.

فاتحة الكتاب تضمنت مقولة لرئيس الدولة [. . . ونحن واثقون بوعي مثقفينا بطبيعة العصر الذي نعيشه وما ينتابه من تحولات متسارعة، وتحديات جسيمة لكي يثابروا

على أداء رسالتهم النبيلة نحو مجتمعهم وبلادهم في يقظة لا تعرف الفتور وابداع لا يعتريه الكلل، يحرّرون العقول وينيرون النفوس].

أمّا المؤلف سوفلجين عبيد فيقول عن تأليفه هذا : «انّ الذي نطمح اليه من هذا الكتاب هو التعريف بمساهمة الشعراء التونسيين في القرن العشرين في تجديد الشعر العربي الذي عرف على مدى تاريخه الطويل عدة محطات بارزة كان دائما البحث عن الجديد فيها معبرّا عن توق وجنوح الى الحرية والاضافة. . .»

باختصار انّ من يتصفح كتاب سوف عبيد حركات الشعر الجديد في تونس سيجد نفسه مشدودا اليه شداً فلن يضعه جانبا الا بعد أن يكون قد استمتع بما جاء فيه من مقاربات حول تجارب شعرية عايشناها جميعا.

الترفيع في الميزانية المخصصة

لقطاع الثقافة والمحافظة على التراث

... وقد حظي لدينا قطاع الثقافة والمحافظة على التراث باهتمام متميّز فأحطناه بما يلزم من الرعاية والتشجيع ورفعنا تدريجيا الميزانية المخصصة له لتبلغ سنة 2009 : (1،25 بالمائة) من ميزانية الدولة وحققنا عدة انجازات على المستويين الكمّي والنوعي ساعدتنا على تعزيز المؤسسات المرجعية للقطاع وعلى تقريب المادة الثقافية من المواطن.

من كلمة سيادة رئيس الجمهورية

بمناسبة اليوم الوطني للثقافة

(قرطاج : 28 جوان 2008)

منشورات إتحاد الكتاب التونسيين

عنـــوان الكتـــاب	المؤلـــــــف	تاريخ النشر	السعـــر
البشير خريف في عيون النقاد	مجموعة من الكتاب	2003	6 د.ت
التضامن والتكافل في الثقافة التونسية	مجموعة من الكتاب	2003	7 د.ت
في الشعر التونسي الحديث (1)	تقديم أحمد الودرني	2003	7 د.ت
في الشعر التونسي الحديث (2)	مجموعة من الكتاب	2005	10 د.ت
مختارات تونسية في النقد والفكر	عثمان بن طالب	2004	20 د.ت
انطولوجيا المسرح التونسي	سمير العيادي	2005	15 د.ت
انطولوجيا المسرح التونسي (بالفرنسية)	سمير العيادي	2005	15 د.ت
انطولوجيا الشعر التونسي ج 1 (بالفرنسية)	عثمان بن طالب	2003	8 د.ت
انطولوجيا الشعر التونسي ج 2 (بالفرنسية)	محمد القاضي	2003	6 د.ت
انطولوجيا القصة التونسية (بالفرنسية)	فرج لحوار/حافظ الجديدي	2003	9 د.ت
انطولوجيا الرواية التونسية (بالفرنسية)	فرج لحوار/حافظ الجديدي	2004	15 د.ت
انطولوجيا النقد الأدبي (بالفرنسية)	عثمان بن طالب	2004	20 د.ت
دليل الكتّـاب التونسيين	صلاح الدين الحمادي	2005	12 د.ت
موسوعة القصص العربية في تونس في القرن العشرين	بوراوي عجـينة	2007	19 د.ت
ثلاثة شروط بسيطة	بكر أبو بكر	2008	6،500 د.ت

الجمعية التونسية للدراسات والبحوث حول التراث الفكري التونسي .برنامج سنة 2008 .

انطلقت هذه الجمعية في العمل في 30 أكتوبر 2004 وهي تهدف الى المساهمة في دعم اشعاع التراث الفكري التونسي عبر العصور. أما مؤسسوها فهم الأساتذة : كمال عمران ـ فتحي القاسمي ـ كمال بن وناس ـ محمد بن الاصفر ـ جميلة مملوك وغيرهم.

هذه الجمعية عقدت مؤخرا جلستها العامة وتضمن برنامج نشاطها ما يلي :

1 ـ ندوة خاصة بالعبودية والغاء الرق في تونس بمناسبة مرور 160 سنة على تحرير العبيد في تونس (1849 ـ 2006) في غضون 2008.

2 ـ ندوة علمة بالتعاون مع بيت الحكمة حول الشيخ المصلح محمود قابادو (22 جانفي 2008).

3 ـ ندوة دولية حول ابن خلدون والاستشراق الآسيوي، (ربيع 2008).

4 ـ ندوة علمية حول الشيخ الشاذلي النيفر بالتعاون مع بيت الحكمة (يومي 5 و6 ماي 2008).

5 ـ ندوة علمية بالتعاون مع بيت الحكمة حول الأديب الناقد محمد الحليوي بمناسبة الاحتفال بالقيروان عاصمة الثقافة الاسلامية 2009.

6 ـ ندوة حول الحكيم والوطني أحمد بن ميلاد (من خلال وثائقه المطبوعة والمرقونة والمخطوطة) بالتعاون مع بيت الحكمة مطلع (2009).

7 ـ ندوة علمية حول دور الجزائريين في الحركة الوطنية والفكرية التونسية بالتعاون مع المكتبة الوطنية الجزائرية منتصف (سنة 2008).

كما ضبطت الجمعية أيضا مشاريعها المستقبلية والتي من أهمها :

ـ بعث نشرية ثم مجلة فصلية حول التراث الفكري التونسي.

ـ التوأمة مع جمعيات في تونس وخارجها ذات الاهتمام المشترك في إطار منظومة الإيروماد.

ـ إحداث مكتبة (مطبوعات ـ مرقونات ـ مخطوطات) متخصصة في الكتاب التونسي ورقيا والكترونيا يشارك في اثرائها أعضاء الجمعية ومحبوها ومؤسسات ثقافية.

ـ برمجة موقع الكتروني متعدد الجوانب والوسائط.

نشريّــة الإتّحاد

نشرية إلكترونية (نصف شهرية)

رئيس تحريرها : المولدي فرّوج

في كل عدد

- أخبار الاتحاد والفروع
- أخبار الأدباء واصداراتهم
- متابعات
- نصوص سردية
- نصوص شعرية
- دراسات
- ملف الشهر (أدباء تونسيون قدامى)
- للاتصال والتواصل (عناوين الاتحادات والأدباء)

عناوين النشرية

http://ecrivainstunisiens.maktoobblog.com
http://uet.oldiblog.com
http://bloghotel.org/uniondes ecrivainstunisiens
htpp://bulletinuet.blog.com

مواقع الربط والتوجيه

http://uet.ca.cx
htpp://uet.fr.nr
htpp://uetunisiens.fr.tc
htpp://ecrivainstunisiens.fr.tc
htpp://ecrivainstunisiens.fr.nf

مراسلة النشرية وإرسال النصوص

ecrivainstunisiens@maktoob.com
mouldifarrouj@maktoob.com
mouldifarrouj@yahoo.fr

تونس 2010

السنة الدوليّة

للشباب

القيروان

2009

عاصمة الثقافة الاسلامية